

مؤسسة لبيك الإعلامية

(صوت شبكة القمة الإسلامية)

~قسم المقروءات~

رسالة

حِلْيَةُ الْمُجَاهِد

للأخ المجاهد

معلم يعقوب العمري -حفظه الله

جمادى الثاني / ١٤٣٦

مؤسسة لبّيك الإعلامية

~ قسم المقروءات~

:: تقدم::

رســـــــــــــالة

حِلْيَةُ المُجَاهِدِ

بقلم الأخ المجاهد

- معلم يعقوب العمري حفظه الله -

الطبعة الأولى : 1436هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يُوافي نعمه،والصّلاة والسّلام على نبيّ الرّحمة والملحمة ، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين الذين ءامنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أُنزل معه، أمابعد.

لفضيلة ذروة سنام الإسلام ، ولأهمية تحلية العاملين في هذه الفريضة بالحلل الرّاقية الجميلة ، ولتزيين أخلاقهم الرّفيعة بالآداب السامية لتُجذب الآخرين نحو العمل وتُحفّزهم إلى مشاركة ذروة سنام الإسلام (**الجهاد في سبيل الله**) عزمنا متوكّلين على الحيّ القيّوم، اتحاف المجاهدين الخيرة بجملة من الأخلاق المختارة الّتي لابُدّ لأمثالهم أن يتحلو بها تحت عنوان " **حلية المجاهد**" سائلين المولى العليّ القدير أن يُوفّقنا بما فيه خير معادنا ومعاشنا إنّه وليّ ذلك والقادر عليه .

دوافع الرّسالة

- محاولة لوأد الفجوات الأخلاقية ، ورغبة منّا في سدّ الثّغور التي يُمكن أن يدسّ منها الشّيطان وأعوانه إلينا، قرّرتُ ابراز أهمّ الأخلاق الّتي ينبغي للمسلم بصفّة عامّة وللمجاهد بصفّة خاصّة أن يتّصف بها ،تلك الأخلاق التي منها الصّدق والحلم والوفاء بالعهود ، والإجتناب من الكذب والغشّ والخديعة وجميع أخلاق الفُسّاق والشّياطين.
- رأيتُ ولا أبالغ بل ولا أستثني –وإن كانت أولّهم نفسي– خُلقاً رديئة، وطبعاً دنيئاً ، ومرضاً عُضالا، ووباءً قاتلا ، يُحاول أن ينتشر في أوساط الأمّة بدون قصد حسب ظنّي، بدأ بالتّقصير والتصغير والإستهانة وإرادة إصلاح، وتحوّل إلى سجيّة بعد التّكيّف عليه، وأصبح من ضروريات الحياة – إلا من رحم الله – أعني مرض **الكذب** وعدم **الوفاء بالعهود**، والإبتعاد عن الصّدق والوفاء بالوعود حتى عاد المثل الجاهلي من جديد: **أخلف من عرقوب**..
- عرض عليّ كثير من الرّفقاء والأحباب –منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر–، أن أُدوّن ولوبِعدّة صفحات أُبرز فيها أهمية **الصّدق** وخطورة **الكذب**، وأنّهما لايجتمعان في قلب مؤمن

إلا في حالات استثنائيّة ضيّقة قد أباح لنا الشّرع الحنيف، وجُلّ الأحبّة الذين قدّموا ليَ الإقتراح أجلّاء في قلبي، محترمون لديّ ،لاسيّما الشّهداء الذين إن بخلنا وفاء عهودهم ولم نقبل توجيهاتهم لاخير فينا، ولاحظّ لنا في البقاء بعدهم ، ولاذوق لكلماتنا وتوصيّاتنا إن لم نُسارع لاستجابة مطالبهم ، ولم نحترم خواطرهم ،وكثيراً ما أحزن بل أكاد أبكي حين أتذكّر كلمات شيخي ،ورفيق دربي، الشّهيد –بإذن الله– فضيلة الشّيخ الدّاعية المجاهد البطل ، الشّاب المفضال ، الفارس المقدام، الأسد الهصور ، الداعية المفوّه الموفق : الأخ **عبد الكريم محمود فيرولي** ،الذي أوصاني وطلب منّي قُبيل إستشهاده بأسابيع : تسويد صفحات أُقدّم فيها أهمية **الصّدق** وخطورة **الكذب**، وها أنا اليوم وبعد **سنين** مضت أُحاول استجابة مطالبه معترفا مدى تقصيري بوفاء ذلك العهد،لكنّني أسأل الرّحمن أن يُسامحني ويعفو عنّي، وأن يجعل ثواب هذه الصّفحات في ميزاننا وميزان شهيدنا ، كما أسأله أن يتقبّله في عِداد الشّهداء ويرزقه الفردوس الأعلى من الجنان ، وأن يحشرنا جميعاً غداً مع النّبيّين والصّديقين والشّهداء والصّالحين ، وحسن أولئك رفيقاً....آمين ياربّ ...آمين ياربّ... آمين ياربّ.

الرؤية البعيدة

- استئصال ظاهرة الكذب التي انتشرت في أوساطنا بقصد وبدون قصد.
- انشاء جيل يتحاشى عن الأوصاف الرّذيلة ويتوق ان يتحلّي بالأوصاف الرّفيعة.
- ابراز الظّاهرة إلى العلن تحذيراً للمقترفين بها ، وتنبيهاً للغافلين عنها ، وتخويفاً للمقبلين عليها.
- إبراءً للذمّة، ونصحاً للإخوة، وإيفاءً بالعهود،ونصرة للأخلاق الرّفيعة الضّائعة المهدّدة.

الإهداء

إلى الجماعات الجهادية المنتشرة في عرض البلاد وطولها.

إلى الشّهداء الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبييل الله لايهابون الموت ولايلتفتون إلى كثرة العدوّ وعتاده، ولا يُبالون لقلّة النّاصر ولالكثرة المخذّل والمثبط، وعلى رأسهم : شهيد الأُمّة —بإذن الله—الشيخ أُسامة بن محمد بن عوض بن بلادن (أمير المجاهدين) الذي اغتالته يد الخيانة في أبوت أباد /باكستان/ آسيا.

وشهيد الشّريعة—بإذن الله—الشيخ مختار عبدالرحمن أبو الزّبير(أمير حركة الشّباب المجاهدين في الصّومال) الذي استُشهد إثر غارة أمريكية آثمة نفذتها طائرات حربية خبيثة في ضواحي براوى / ولاية شبيلى السُفلى / الصّومال / إفريقيا.

وشهيد الدّعوة —بإذن الله– الشيخ الدّاعية عبدالكريم محمود فيرولى ، الذي استُشهد إثر لغم أرضي زرعته أيادي الشّرك والتنديد لموكب طيّب من الإخوة كان الأسد من ضمنهم في ولاية جلجدود الأبية.

إلى الكتائب الإستشهادية، والفيالق الإنغماسية ، والفرق العسكرية ، واللُجان الدّعوية ، وأُسود الإعلام ، وفرسان الحسبة الأبيّة ، ونخبة القيادة ،وصقور المهام الخاصّة ، في جميع الجماعات الجهادية العالمية والمحلية.

إلى كلّ مجاهد يُقاتل لإعلاء كلمة الله تعالى فوق كلّ أرض وتحت كلّ سماء.

إليهم جميعاً أُهديهم كتابي هذا ، الذي لم اكتبه لجماعة دون أُخرى بل لجميع حاملي راية التوحيد بدءاً من المغرب الإسلامي غرباً إلى آسيا شرقا وصولا إلى الشّيشان شمالا والصّومال جنوباً.

19 من ربيع الأول لعام 1436هـ

الفصل الأول :الإخلاص والمتابعة

لابدّ للأعمال أن تتوفّر فيها شرطان لتُقبل عند الواحد القهّار –جلّ في علاه – وهما كما ثبت لدى أهل العلم والأثر بالإستقراء والتتبّع:

(أ) الإخلاص (رمز للأعمال الباطنة) .

(ب) المتابعة (رمز للأعمال الظاهرة) .

ويدلّ على هذا المعنى الكتاب والسنّة :

فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾[1].

وقال الفضيلُ في قوله تعالى : ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾، قال :"أخلصُه وأصوبُه . وقال : إنَّ العملَ إذا كان خالصاً ، ولم يكن صواباً ، لم يقبل ، وإذا كان صواباً ، ولم يكن خالصاً ، لم يقبل حتّى يكونَ خالصاً صواباً ، قال : والخالصُ إذا كان لله – عز وجل – ، والصَّوابُ إذا كان على السُّنَّة"[2].

---

[1] الملك من الآية:2

[2] تفسير القيم لابن القيم (1\78)،روائع التفسير لابن رجب الحنبلي (2\490)،تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(1\377).

وقوله تعالى:﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[3].

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي-رحمه الله تعالى -:﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا** ﴾ وهو الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب،﴿**وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾أي: لا يرائي بعمله بل يعمله خالصا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه، ونيل رضاه[1].اهـ.

وقال بعضُ العارفينَ:"إنَّما تفاضَلُوا بالإرادات ،ولم يتفاضَلُوا بالصَّوم والصَّلاة "[2].

فالعمل الصالح هو المطابق الموافق لشريعة محمد -صلّى الله عليه وسلّم-،وعدم الشرك هوالإخلاص الذي ابتُغي به وجه الله -جلّ جلاله وتقدّست كلماته - فحسب والله اعلم.

وقوله تعالى :﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾[3].

قال الإمام القرطبي -رحمه الله تعالى -: فضل دين الإسلام على سائر الأديان و﴿**أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ**﴾ معناه أخلص دينه لله وخضع له وتوجه إليه بالعبادة[4].اهـ.

---

(3)الكهف الآية : 110.

(1)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان1\489.

(2)جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم 3\20.

(3)النساء الآية :125

(4)تفسير القرآن العظيم 5\399.

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي –رحمه الله تعالى –:"أي: لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود، وهو إسلام الوجه لله الدال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته **وإخلاصه**،وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله﴿**وَهُوَ**﴾ مع هذا الإخلاص والاستسلام ﴿ **مُحْسِنٌ**﴾ أي: متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله، وأنزل كتبه، وجعلها طريقا لخواص خلقه وأتباعهم[1].اهـ.

الشرط الأول: الإخلاص

الْإِخْلَاصُ هُوَ: أَنْ يَسْتَوِيَ ظَاهِرُ الْمَرْءِ وَبَاطِنُهُ[2].

وقيل هو : إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة؛ وهو تصفية العمل من كل شائبة كالعجب والرياء والسمعة والمن. والمخلص هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل، ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله[3] .

وقيل:هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق[4].

والإخلاص شرط لازم لقبول العمل الصالح الجاري على هدي محمّد –صلىّ الله عليه وسلّم–، لهذا أمرنا الله تعالى الإخلاص بقوله:﴿**وَمَا أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء** ﴾ [البينة:5].

وعن أبي أمامة –رضي الله عنه – قال : جاء رجل إلى رسول الله –صلى الله عليه و سلم – فقال : " أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا شيء

(1)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان **1\206**.

(2)التحرير والتنوير للشيخ محمد طاهر بن عاشور –الطبعة التونسية –**28\29**.

(3)المورد العذب المبين من آثار أعلام التابعين **1\32**.

(4)تزكية النفوس للدكتور احمد فريد ص**4**.

له فأعادها ثلاث مرات يقول له رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا شيء له ثم قال : إن الله عز و جل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه"[5].

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي –صلى الله عليه وسلم – أنه قال في حجة الوداع:[نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها فرب حامل فقه ليس بفقيه ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مؤمن إخلاص العمل لله ،والمناصحة لائمة المسلمين ،ولزوم جماعتهم :فإن دعاءهم يحيط من ورائهم][1] .

ومن حقق هذه الثلاثة فستصلح به نفسه ، وستطهر من الدغل والحسد والخيانة وسائر الشرور–إن شاء الله تعالى .

واعلموا أنّ العبد لا يتفلّت من وسوسة الشيطان ولا يتملّص عن إدراكه بل ولايتخلّص من إغوائه إلا بالإخلاص ومتابعة شريعة محمّد –صلى الله عليه وسلّم– وأنّ يد الشيطان لن تنال أهل الإخلاص كما قال تعالى حكاية عن تهديدات الشيطان :﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[2] .

وكان معروف الكرخى– رحمه الله تعالى –يقول: " يانفس أخلصى تتخلصى "[3] .

وقال الغزالي –رحمه الله تعالى:"وإنما الإخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه ، وهذا لا يتصور إلا من محب لله مستهتر بالله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب أيضا بل تكون رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة الجبلة فلا يشتهى الطعام لأنه

---

[5]صححه الألباني في السلسلة الصحيحة 1\118.

[1]صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب وقال :(رواه البزار بسند حسن) –الطبعة الخامسة – مكتبة المعارف – الرياض–.1 \2.

[2]ص الآية:82– 83.

[3]أحياء علوم الدين لمحمد الغزالي 4\378.

طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله تعالى ويتمنى أن لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلوبا عنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى .

فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يريح نفسه ليتقوى على العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ، ومن ليس كذلك فباب الإخلاص في الأعمال مسدود عليه إلا على الندور .وكما أن من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت إخلاصا فالذى يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادرا .

فإذن علاج الإخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فإذا ذاك يتيسر الإخلاص . وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرور لأنه لا يرى وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال: قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الأول لأنى تأخرت يوما لعذر فصليت في الصف الثانى فاعترتني خجلة من الناس حيث رأونى في الصف الثانى فعرفت أن نظر الناس إلى في الصف الأول كان مسرتى وسبب استراحة قلبى من حيث لا أشعر.

وهذا دقيق غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من يتنبه له إلا من وفقه الله تعالى"[1].اهـ.

بعض الآثار الواردة في الإخلاص

[1] إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي 4\380.

وعَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: كَتَبَ عُمَرُ إِلَى أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: «مَنْ خَلُصَتْ نِيَّتُهُ كَفَاهُ اللهُ تَعَالَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِغَيْرِ مَا يَعْلَمُ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ شَانَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَا ظَنُّكَ فِي ثَوَابِ اللهِ فِي عَاجِلِ رِزْقِهِ وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ؟ وَالسَّلَامُ» [1].

عن معاذ به جبل رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين بعثه إلى اليمن: "أخلص دينك يكفك القليل من العمل "[2] .

وقال بعض السلف: " المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته " [3].

قال السوسى –رحمه الله تعالى-: " الإخلاص فَقْدُ رؤية الإخلاص، فإن مَنْ شاهد فى اخلاصه الإخلاص فَقد احتاج اخلاصه إلى اخلاص "[4] .

لأن التتبع في الإخلاص يُخشى أن يورث التعجب ، والتعجب بالأعمال آفة قاتلة ، والإخلاص ما خلى عن جميع الآفات والشوائب والله أعلم.

وقال أيوب السختيانى –رحمه الله تعالى-:"تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال"[5] .

وقال حكيم –رحمه الله تعالى-: " في إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز "[6] .

---

[1] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبو نعيم 1\50.

[2] أخرجه ابو نعبم في الحلية1\262..

[3] إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام 4\2.

[4] احياء علوم الدين للغزالي 7\3

[5] إحياء علوم الدين لمحمد الغزالي 6\495.

[6] إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام4\2.

قال سهل بن عبد الله التستري –رحمه الله تعالى-: " ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب "[1].

وقال يوسف بن الحسين –رحمه الله تعالى-: " أعز شيء في الدنيا الإخلاص وكم أجتهد في اسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر "[2].

وعن يحيى بن أبي كثير–رحمه الله تعالى– ، قال : "تعلَّموا النِّيَّة ، فإنَّها أبلغُ من العَمَلِ"[3].

أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت علي بن بندار يقول : سمعت عبد الله بن محمود يقول : سمعت محمد بن عبد ربه يقول : سمعت الفضيل يقول:"ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله عنهما"[4].

قال رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم–:"بشر هذه الأمة بالسناء والدين و الرفعة و النصر و التمكين في الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب"[5].

وعَنِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ – رضي الله عنه– أنه قَالَ: " مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَبِيئَةٌ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلْيَفْعَلْ "[6].

قال سفيان رحمه الله :"لا أعتد بما ظهر من عملى "[7].

---

[1]قرة العينين في شرح احاديث مختارة من الصحيحين 1\3.

[2]اتحاف القاري بدرر البخاري 1\10.

[3]أخرجه أبو نعيم في الحلية 3\70.

[4]رواه البيهقي في شعب الإيمان –5\347.

[5]رواه أحمد بن حنبل في مسنده برقم20714

[6]ابن المبارك "الزهد والرقائق"(1\391) ، ابن الجعد في "مسنده" (1\113)، "مسند الشهاب"للقضاعي (1\267).

[7]احياء علوم الدين لمحمد الغزالي 4\376.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد:"جاورت هذا البيت ستين سنة ، وحججت ستين حجة فما دخلت في شيء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسي فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي "[1].

قال الشيخ أبو محمد الغزالي– رحمه الله تعالى– وهو يعلق قول عبدالعزيز بن أبي رواد:"ومع هذا فلا ينبغي أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فإن ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ المقصود أن لا يفوت الإخلاص، ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والإخلاص جميعا"[2].

وأخيراً أخي المجاهد:أُوصيك ونفسي أن نكتم أعمالنا قدر الإستطاعة ، وأن لانُشهرها إلا أن يكون الموقف موقفاً يستدعي ابراز بعض الأعمال ليتأسى بنا الآخرون ، ونُشحذ هممهم ، وندفعهم إلى الإنفاق في سبيل الله –عزّ وجلّ– بالنّفس والمال وما تبعهما والله اعلم.

الشرط الثاني: متابعة السنّة

والشرط الثانى الذي لايقبل الله المسلم عملا من الأعمال حتى يتوفر فيه هو أن يكون العمل مطابقاً لسنة النبى –صلّى الله عليه وسلّم–كما دلّ على ذلك حديث عاشئة رضى الله عنها الذي قالت فيه: قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: " من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[3].وفى رواية لمسلم : "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد".

قال ابن القيم لجوزية – رحمه الله تعالى–:وَالرَّدّ فِعْل بِمَعْنَى الْمَفْعُول , أَيْ فَهُوَ مَرْدُود , وَعَبَّرَ عَنْ الْمَفْعُول بِالْمَصْدَرِ مُبَالَغَة , حَتَّى كَأَنَّهُ نَفْس الرَّدّ , وَهَذَا تَصْرِيح بِإِبْطَالِ كُلّ عَمَل عَلَى خِلَاف أَمْره وَرَدّه , وَعَدَم اِعْتِبَاره فِي حُكْمه الْمَقْبُول , وَمَعْلُوم أَنَّ الْمَرْدُود هُوَ الْبَاطِل بِعَيْنِهِ , بَلْ كَوْنه رَدًّا أَبْلَغَ

---

[1] احياء علوم الدين لمحمد الغزالي7\14.

[2] المصدر السابق.

[3] قال البيهقي في سننه الكبرى 10\150:رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ فِى الصَّحِيحِ عَنْ يَعْقُوبَ وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّبَّاحِ وَغَيْرِهِ كُلُّهُمْ عَنْ إِبْرَاهِيمَ.

مِنْ كَوْنه بَاطِلًا , إِذْ الْبَاطِل قَدْ يُقَال لِمَا لَا تَقَع فِيهِ أَوْ لِمَا مَنْفَعَته قَلِيلَة جِدًّا وَقَدْ يُقَال لِمَا يُنْتَفَع بِهِ ثُمَّ يَبْطُل نَفْعه , وَأُمَّا الْمَرْدُود فَهُوَ الَّذِي لَمْ يَجْعَلهُ شَيْئًا وَلَمْ يَتَرَتَّب عَلَيْهِ مَقْصُوده أَصْلًا"[1]اهـ.

فالحديث السابق ميزان للأعمال الظاهرة كما أنّ الحديث :"**إنما الأعمال بالنيات** "ميزان يُقاس عليه الأعمال الباطنة وهما (**اي الحديثان**) أهمّ الأدلّة والأعمدة الرئيسية التي يُستدلّ بها على أنّ الأعمال يُشترط لقبولها الإخلاص والمتابعة والله أعلم.

وفرض الله علينا طاعة رسوله–صلّى الله عليه وسلّم–وأوجبه علينا أيما إيجاب بقوله :﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا** ﴾[2].

وبقوله أيضاً : ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضلالاً مُّبِينًا**﴾ [3].

وجعل اتّباع سنّته، والإهتداء بهديه ، والإقتفاء على أثره، شرطاً لمحبّة–عزّ وجلّ– حيث قال في كتابه العزيز:﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ**﴾[4] .

قال الحسن البصرى –رحمه الله تعالى–:"ادعى ناس محبة الله عز وجل فابتلاهم بهذه الآية : ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي** ﴾ ... الآية[5].

وأوصى النبي –صلّى الله عليه وسلّم– لأمّته التمسك بسنته وسنة خلفائه الراشدين المهديين من بعده ، حيث قال:" أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تأمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ

---

[1]تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته **1\325.**

[2]الحشر الآية: **7**

[3]الأحزاب الآية :**36**

[4]آل عمران الآية: **31.**

[5]تزكية النفوس للدكتور احمد فريد**1\6.**

مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُم بسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْها بالنَّواجِذِ"[1].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ"[2].

و قال الزهرى –رحمه الله تعالى-:"الاعتصام بالسنة نجاة لأن السنة كما قال مالك : مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك"[3].

قال سُفْيَانَ الثوري –رحمه الله تعالى-: "لَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ , وَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ"[4].

وعن ابن شوذب أنه قال :"إن من نعمة الله على الشاب إذا نَسُكَ أن يوفقه الله إلى صاحب سنة يحمله عليها"[5].

أخي المجاهد:فما أحسن أن نتذكّر دائما كلمات ابن القيم- رحمه الله-حيث يقول:"إِنَّ الْأَعْمَالَ لَا تَتَفَاضَلُ بِصُوَرِهَا وَعَدَدِهَا، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ، فَتَكُونُ صُورَةُ الْعَمَلَيْنِ وَاحِدَةً، وَبَيْنَهُمَا فِي التَّفَاضُلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالرَّجُلَانِ يَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ"[6]اهـ.

---

[1]صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب1\10 وقال: رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي :حديث حسن صحيح.

[2]حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم4\306.

[3]تزكية النفوس للدكتور احمد فريد 1\8.

[4]حلية الاولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم 7\32.

[5]تزكية النفوس للدكتور احمد فريد 1\8.

[6]مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين 1\340.

وما أحرى بنا أن ندعو الله بدعاء مطرف بن عبد الله كما ذكرها عنه سفيان بن عيونة –رحمه الله تعالى–أنه كان يقول:"اللهم إني استغفرك مما زعمتُ أني أردت به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت"[1].

وأن نُحمّل كلمات سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، –رحمه الله تعالى– بمحمل الجدّ والصدق حين يقول:"مَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِشَيْءٍ يَعْلَمُ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ غَيْرَ ذَلِكَ شَانَهُ اللهُ"[2].

وأن نتدبّر كلمات علي بن بكار–رحمه الله تعالى– تدبّراً بليغاً حين قيل لَهُ:حُذَيْفَةُ الْمَرْعَشِيُّ يُقْرِئُ عَلَيْكَ السَّلَامَ قَالَ:" وَعَلَيْهِ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ بِأَكْلِ الْحَلَالِ مُنْذُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَلَئِنْ أَلْقَى الشَّيْطَانَ عِيَانًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ أَنْ أَلْقَاهُ , قُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ قَالَ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ أَتَصَنَّعَ لَهُ , فَأَتَزَيَّنُ لِغَيْرِ اللهِ فَأَسْقُطُ مِنْ عَيْنِ اللهِ "[3].

وقال ابن الجوزي –رحمه الله –:"بلغناعن بعض السلف أنه قال:رأيت في بعض الجبال شابا أصفراللون، غائرالعينين، مرتعش الأعضاء، لايستقرعلى الأرض، كان به وخزالأسنة، ودموعه تتحادر، فقلت له:من أنت؟فقال: آبق من مولاه قلت:فتعود وتعتذر، فقال:العذريحتاج إلى إقامة حجة فكيف يعتذرالمقصر؟ فقلت:تتعلق بمن يشفع فيك، فقال:كل الشفعاء يخافون منه، قلت:فمن هو؟ قال: مولاي رباني صغيرا فعصيته كبيرا، شرط لي فوفاني، وضمن لي فأعطاني فخنته في ضماني، وعصيته وهويراني، فواحيائي من حسن صنعه وقبيح فعلي، فقلت:أين هذا المولى؟ فقال:أين توجهت لقيت أعوانه، وأين استقرت قدمك ففي داره، فقلت: ارفق بنفسك فربما أحرقك هذا الخوف، فقال:الحريق بنارخوفه لعله يرضى أحق وأولى ثم أنشأ يقول:

---

[1] تزكية النفوس للدكتور احمد فريد ص8.

[2] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني 7\271.

[3] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني8\270.

لم يبق خوفك لي دمعا ولاجلدا لاشك أني بهذا ميت كمدا
عبدكئيب أتى بالعجزمعترفا وناره تحرق الأحشاء والكبدا
ضاقت مساكنه في الأرض من وجل فهب له منك لطفا إن لقيك غدا

فقلت : ياغلام الأمر أسهل مما تظن ، فقال: هذا من فتنة البطالين ، هبه تجاوز وعفا أين آثار **الإخلاص والصفاء**، ثم صاح صيحة فخرجت عجوز من كهف الجبل ، عليها ثياب رثة فقالت: من أعان على البائس الحيران ؟ فقلت: يا أمة الله دعوته إلى الرجاء فقالت: قد دعوته إلى ذلك فقال:**الرجاء بلا صفاء شرك** قلت: من أنت منه ؟ قالت: والدته فقلت : أقيم عندك أعينك عليه ، فقالت: خله ذليلا بين يدي قاتله عساه يراه بعين معين فيرحمه ، فلم أدر مما ذا أعجب من صدق الغلام في خوفه أو من قول العجوز وصدقها [1].

[1] صفة الصفوة لابن الجوزي **4\367.**

الفصل الثاني :السّعي إلى طلب العلم ونبذ الجهل

معلوم على أنّ العلم صفة محبوبة ضد الجهل وله تعاريف لدى أهله لكنّ الذي نقصده هو: علم الكتاب والسنّة وفق فهم سلف هذه الأمّة الصالحين –رضوان الله عليهم أجمعين.

الْعِلْمُ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أُولُو الْعِرْفَانِ
لَوْ كَانَ هَذَا الْعِلْمُ يَحْصُلُ بِالْمُنَى مَا كَانَ يَبْقَى فِي الْبَرِيَّةِ جَاهِلُ
اجْهَدْ وَلا تَكْسَلْ وَلا تَكُ غَافِلاً فَنَدَامَةُ الْعُقْبَى لِمَنْ يَتَكَاسَلُ

فضائله فى القرآن كثيرة، منها قوله عزوجل :﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[1].

وقوله عز وجل :﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾[2] .

وأما الأخبار والآثار حول العلم وفضله فهي غزيرة وكثيرة ونذكر منها ما روي عن معاوية –رضي الله عنه– أنّ النبي–صلّى الله عليه وسلّم– قال: " من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين"[3].

قال ابن بطال –رحمه الله تعالى –:" فيه فضل العلماء على سائر الناس.

وفيه فضل الفقه فى الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله، لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته"[4]اهـ.

---

[1] المجادلة الآية : 11

[2] الزمر الآية : 9

[3] قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " 3 / 191 :أخرجه الترمذي (2 / 108) و الدارمي (1 / 74) من طريق إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس مرفوعا ، و قال الترمذي :" حديث حسن صحيح " .

[4] شرح صحيح البخاري لابن بطال 1\154.

قال النووي –رحمه الله تعالى –: " فِيهِ فَضِيلَةُ الْعِلْمِ وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ وَسَبَبُهُ أَنَّهُ قَائِدٌ إِلَى تَقْوَى اللَّهُ تَعَالَى"[1].اهـ.

وقال القسطلاني –رحمه الله تعالى– :"(من يرد الله به خيرًا) أي جميع الخيرات لأن النكرة تفيد العموم أو خيرًا عظيمًا فالتنوين للتعظيم (يفقهه في الدين) والفقه في الأصل الفهم يقال فقه الرجل بالكسر يفقه فقهًا إذا فهم وعلم وفقه بالضم يفقه إذا صار فقيهًا عالمِا وجعله العرف خاصًّا بعلم الشريعة وتخصيصًا بعلم الفروع وإنما خص من علم الشريعة بالفقه لأنه علم مستنبط بالقوانين والأدلة والأقيسة والنظر الدقيق بخلاف علم اللغة والنحو والصرف، روي أن سليمان نزل على نبطية بالعراق فقال لها: هل هاهنا مكان نظيف أصلي فيه؟ فقالت: طهر قلبك وصلّ حيث شئت فقال: فقهت أي فهمت، ولو قال علمت لم يقع هذا الموقع.

وعن الدارمي عن عمران قال: قلت للحسن يومًا في شيء قاله:يا أبا سعيد ليس هكذا يقول الفقهاء، فقال:ويحك هل رأيت فقيهًا قط إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بأمور دينه الداوم على عبادة ربه"[2]اهـ.

وعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أنّ النبي –صلّى الله عليه وسلّم–قال: "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ".[3]

---

[1]المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج 7\128].

[2]ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري 10\324.

[3]صححه الألباني في "صحيح الترغيب والترهيب 1\16 وقال: رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال:صحيح على شرطيهما.

وقال ابن رجب الحنبلي –رحمه الله تعالى– :" وَسُلُوكُ الطَّرِيقِ لِالْتِمَاسِ الْعِلْمِ يَدْخُلُ فِيهِ سُلُوكُ الطَّرِيقِ الْحَقِيقِيُّ، وَهُوَ الْمَشْيُ بِالْأَقْدَامِ إِلَى مَجَالِسِ الْعُلَمَاءِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ سُلُوكُ الطُّرُقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْمُؤَدِّيَةِ إِلَى حُصُولِ الْعِلْمِ، مِثْلُ حِفْظِهِ، وَدَارِسَتِهِ، وَمُذَاكَرَتِهِ، وَمُطَالَعَتِهِ، وَكِتَابَتِهِ، وَالتَّفَهُّمِ لَهُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الطُّرُقِ الْمَعْنَوِيَّةِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْعِلْمِ.

وَقَوْلُهُ: «سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ» قَدْ يُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يُسَهِّلُ لَهُ الْعِلْمَ الَّذِي طَلَبَهُ، وَسَلَكَ طَرِيقَهُ، وَيُيَسِّرُهُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ طَرِيقٌ مُوَصِّلٌ إِلَى الْجَنَّةِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ [القمر: 17] .

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: هَلْ مِنْ طَالِبِ عِلْمٍ فَيُعَانُ عَلَيْهِ؟.

وَقَدْ يُرَادُ أَيْضًا: أَنَّ اللَّهَ يُيَسِّرُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ إِذَا قَصَدَ بِطَلَبِهِ وَجْهَ اللَّهِ الِانْتِفَاعَ بِهِ وَالْعَمَلَ بِمُقْتَضَاهُ، فَيَكُونُ سَبَبًا لِهِدَايَتِهِ وَلِدُخُولِ الْجَنَّةِ بِذَلِكَ".اهـ.[1].

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، سَمِعْتَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَتْرُكْ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» [2].

وقال ابن بطال –رحمه الله تعالى–:" فمعنى ذلك أن الله لا يهب العلم لخلقه، ثم ينتزعه بعد أن تفضَّل به عليهم، والله يتعالى أن يسترجع ما وهب لعباده من علمه الذى يؤدى إلى معرفته والإيمان

---

[1]جامع العلوم والحكم 2\297.

[2]رواه البخارى (234/1) العلم، ومسلم (223/16، 224) العلم .

به وبرسله، وإنما يكون قبض العلم بتضييع التعلُّم فلا يوجد فيمن يبقى من يخلف من مضى، وقد أنذر–صلى الله عليه وسلم–بقبض الخير كله، ولا ينطق عن الهوى"[1].اهـ.

وقال النووي–رحمه الله تعالى–:" هَذَا الْحَدِيثُ يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَبْضِ الْعِلْمِ فِي الْأَحَادِيثِ السَّابِقَةِ الْمُطْلَقَةِ لَيْسَ هُوَ مَحْوُهُ مِنْ صُدُورِ حُفَّاظِهِ وَلَكِنْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ يَمُوتُ حَمَلَتُهُ وَيَتَّخِذُ النَّاسُ جُهَّالًا يَحْكُمُونَ بِجَهَالَاتِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ"[2]اهـ.

وقال المباركفوري –رحمه الله تعالى–:" أَيْ مَحْوًا مِنَ الصُّدُورِ وَالْمُرَادُ بِهِ عِلْمُ الكتاب"[3]اهـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى –:"ففي هذا الحديث إشارة إلى أن العلم سيقبض ولا يبقى في الأرض عالم يرشد الناس إلى دين الله فتتدهور الأمة وتضل بعد ذلك ينزع منهم القرآن ينزع من الصدور ومن المصاحف كما قال أهل السنة إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود قالوا معنى وإليه يعود أي يرجع إلى الله عز وجل في آخر الزمان حين يهجره الناس هجرا تاما لا يقرؤونه ولا يعملون به "[4]اهـ.

وسُئل عبادة بنُ الصامت–رضي الله عنه– عن هذا الحديث فقال :"لو شئت لأخبرتك بأول علم يرفع من الناس : الخشوع "[5].

قال ابن رجب الحنبلي– رحمه الله تعالى–:"وَإِنَّمَا قَالَ عُبَادَةُ هَذَا لِأَنَّ الْعِلْمَ قِسْمَانِ: أَحَدُهُمَا: مَا كَانَ ثَمَرَتُهُ فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ الْعِلْمُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ الْمُقْتَضِيَةِ لِخَشْيَتِهِ، وَمَهَابَتِهِ، وَإِجْلَالِهِ، وَالْخُضُوعِ لَهُ، وَمَحَبَّتِهِ، وَرَجَائِهِ، وَدُعَائِهِ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ،

[1] شرح صحيح البخاري لابن بطال(1\177).
[2] المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(16\223).
[3] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي(7\343).
[4] شرح رياض الصالحين (5\453).
[5] رواه الترمذي في جامعه برقم(2653).

كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ، فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ.

وَقَالَ الْحَسَنُ: الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ عَلَى اللِّسَانِ، فَذَاكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى ابْنِ آدَمَ، وَعِلْمٌ فِي الْقَلْبِ، فَذَاكَ الْعِلْمُ النَّافِعُ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: الْعِلْمُ الَّذِي عَلَى اللِّسَانِ، وَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ» فَأَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ الْعِلْمِ: الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْبَاطِنُ الَّذِي يُخَالِطُ الْقُلُوبَ وَيُصْلِحُهَا، وَيَبْقَى عِلْمُ اللِّسَانِ حُجَّةً، فَيَتَهَاوَنُ النَّاسُ بِهِ، وَلَا يَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَاهُ، لَا حَمَلَتُهُ وَلَا غَيْرُهُمْ، ثُمَّ يَذْهَبُ هَذَا الْعِلْمُ بذهاب حَمَلتِه ، فلا يبقى إلا القرآن في المصاحف ، وليس ثَمَّ من يعلمُ معانيه ، ولا حدوده ، ولا أحكامه ، ثمَّ يسرى به في آخر الزمان ، فلا يبقى في المصاحف ولا في القُلوب منه شيءٌ بالكلِّيَّةِ"[1] .اهـ.

مسألة : ما حكم تعلم العلم ؟

حكم تعلم العلم يكون على التفصيل الآتي:

- **فرض عين** :وهو ما يجب على كلّ فرد بعينه ولايقبل التفويض إلى شخص آخر ، وعليه يحمل حديث أنس في صحيح ابن ماجة أن النبي –صلّى الله علبه وسلّم– قال : طلب العلم فريضةٌ على كل مسلم .

[1]جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي(2\299).

وأول مايجب على العبد تعلّمه ومعرفته: علم التوحيد إذ بدونه لا تُقبل الأعمال بحيث هو أساس كلّ عمل،ومن ثمّ عليه أن يتعلّم مالابدّ منه لصحة عباداته ومعاملاته كعلم الطهارة والصلاة والصيام والحج والزكاة والبيع.

- **فرض كفاية**:وهو التعلّم بماليس من ضروريات العبادة كالتعلّم تعلّما دقيقاً بعلوم الحديث والفقه والقرآن وسائر فنون العلم أو ما يُسمى العلوم المادية التي لايستغنى منها كعلم الطبّ والحساب والصّناعة أو ما شابه ذلك وهذه العلوم قد تكون في بعض الأوقات من فروض الأعيان إذا خلى الزمان من يتقنهم والله اعلم.

إخواني المجاهدون:أنتم سادة الأمّة وقادتها ، لأنّكم تمارسون مهنة ذروة سنام الإسلام(**الجهاد في سبيل الله**) فكذلك لابدّ أن تصبحوا قيادتها وروادها في العلم ، لأنّ المجاهد الذي لايعلم كثيراً عما يُجاهد عليه فكثيراً ماتُواجهه العثرات والصّعوبات التي يُخشى أن تزيحه عن منصبه وتخلعه عن مكانته، لهذا تعلّموا تقودوا وتهتدوا، وتذكروا قول عمر ابن الخطاب –رضي الله عنه : " تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْتُسَوَّدُوا[1].

وما أحلى أن يُشار قول الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى–:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى القُرآنِ مَشْغَلَةٌ الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ: حَدَّثَنَا
إلاَّ الحَدِيثَ وَإلا الْفِقْهَ فِي الدِّينِ وَمَا سِوَى ذَاكَ وِسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ[2]

حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر ثنا الحسن بن علي خشرم يقول سمعت ابن عيينة يقول: قال بعض الفقهاء : كان يقال العلماء ثلاثة : عالم بالله ، وعالم بأمر الله ، وعالم بالله وبأمر الله، فأما العالم بأمر الله :فهو الذي يعلم السنة ولا يخاف الله ، وأما العالم بالله :فهو الذي يخاف الله ولا

---

[1] شرح البخاري لابن بطال 1\168.
[2] آفات اللسان لسعيد بن علي بن وهف القحطاني4\27.

يعلم السنة ، وأما العالم بالله وبأمر الله :فهو الذي يعلم السنة ويخاف الله فذاك يدعى عظيما في ملكوت السموات"[3].

قال الإمام أحمد : الناس محتاجون إلى العلم أكثرمن حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يحتاج إليه فى اليوم مرةأومرتين والعلم يحتاج إليه بعدد الأنفاس".[تزكية النفوس للدكتور احمد فريد1\9].

وقال سفيان بن عيينة :"أرفع الناس منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء"[1].

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم وقدر كل أمرىء ما كان يحسنه

ففز بعلمٍ تعش حياً به أبداً على الهدى لم استهدى أدلاء

والجاهلون لأهل العلم أعداء الناس موتى وأهل العلم أحياء

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ–رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلّم: " يَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى الْعُلَمَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَمْ أَجْعَلْ حِكْمَتِي فِي قُلُوبِكُمْ إِلَّا وَأَنَا أُرِيدُ بِكُمُ الْخَيْرَ، اذْهَبُوا إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ عَلَى مَا كَانَ مِنْكُمْ"[2].

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم:" فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ "[3].

عَنْ أَبِي حَازِمٍ، أَنَّهُ قَالَ: «مَثَلُ الْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ مَثَلُ الْبَنَّاءِ وَالرَّقَّاصِ تَجِدُ الْبَنَّاءَ عَلَى الشَّاهِقِ وَالْقَصْرِ مَعَهُ حَدِيدَتُهُ جَالِسًا، وَالرَّقَّاصُ يَحْمِلُ اللَّبِنَ وَالطِّينَ عَلَى عَاتِقِهِ عَلَى خَشَبَةٍ تَحْتَهُ مُهْوَاةٍ لَوْ زَلَّ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ، ثُمَّ يَتَكَلَّفُ الصُّعُودَ بِهَا عَلَى هَوْلِ مَا تَحْتَهُ حَتَّى يَأْتِيَ بِهَا إِلَى الْبَنَّاءِ، فَلَا يَزِيدُ الْبَنَّاءُ عَلَى أَنْ يَعْدِلَهَا بِحَدِيدَتِهِ وَبِرَأْيِهِ وَبِتَقْدِيرِهِ، فَإِذَا سَلِمَا أَخَذَ الْبَنَّاءُ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْأُجْرَةِ، وَأَخَذَ الرَّقَّاصُ عُشْرًا، وَإِنْ هَلَكَ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ، فَكَذَا الْعَالِمُ يَأْخُذُ أَضْعَافَ الْأُجْرَةِ بِعِلْمِهِ»[4].

---

[3]حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني 7\280.

[1]صفة الصفوة لابن الجوزي 2\232.

[2]أخرجه أبوحنيفة في مسنده.

[3]رواه الترمذي في جامعه.

[4]حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني3\245.

الفصل الثالث : تقوى الله وحسن الخلق

قال الله تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[1].

وقال الله تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا**﴾[2].

وقال الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ .[3]

وعرّفها الإمام علي –رضي الله عنه– بقوله: هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل ،والقناعة بالقليل، والإستعداد ليوم الرّحيل[4].

وقيل: هي فعل الأوامر وترك النواهي عملا بقول الله تعالى:﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[5].

قال مُعاذُ بنُ جبل–رضي الله عنه–:"يُنادى يوم القيامة: أين المتقون؟ فيقومون في كَنَفٍ من الرحمان لا يحتجِبُ منهم ولا يستترُ، قالوا له: مَنِ المتّقون؟ قال: قومٌ اتَّقوا الشِّركَ وعبادةَ الأوثان، وأخلصوا للهِ بالعبادة فيمرون إلى الجنة "[6].

وقال ابنُ عباس–رضي الله عنه– :"المتَّقون الذين يَحْذَرون من الله عقوبتَه في ترك ما يعرفون من الهدى، ويَرجون رحمَته في التصديق بما جاء به "[7].

وقال الحسن–رحمه الله تعالى–:"المتقون اتَّقَوا ما حُرِّم عليهم، وأدَّوا ما افْتُرِض عليهم "[8].

---

(1)آل عمران:102

(2)الأحزاب الآية:70.

(3)التوبة الآية:119

(4)فتح المبين لشرح الأربعين : أحمدبن حجرالهيثمي . بيروت،دارالكتب العلمية، 1398 هـ .ص 164 .

(5)الحشر الآية:7

(6) أخرجه ابن ابي حاتم في " تفسيره "38/4.

(7)أخرجه: الطبري في " تفسيره " 77/1، وابن أبي حاتم في " تفسيره " 35/1،وابن كثير في "تفسيره"1\163.

(8)ذكره ابن كثير في " تفسيره " 163/1.

وقال عُمَر بن عبد العزيز–رحمه الله تعالى–: ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليطِ فيما بَيْنَ ذلك، ولكن تقوى اللهِ تركُ ما حرَّم الله، وأداءُ ما افترضَ الله، فمن رُزِقَ بعد ذلك خيراً، فهو خيرٌ إلى خير "[1].

وقال طلق بن حبيب–رحمه الله تعالى– :"التَّقْوَى عَمَلٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ، رَجَاءَ رَحْمَةِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ , وَالتَّقْوَى تَرْكُ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، مَخَافَةَ عِقَابِ اللَّهِ، عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ"[2].

وقال ابن مسعود– رضي الله عنه– :"اتقوالله حق تقاته أي أن يطاع فلايعصى،ويذكر فلاينسى، وأن يشكر فلايكفر" [3].

وقال ميمونُ بنُ مِهران–رحمه الله تعالى–:" لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه حتى تعلم من أين مطعمه ومن أين ملبسه ومن أين مشربه أمن حل ذلك أو من حرام ؟ "[4].

وقال النبيّ–صلّى الله عليه وسلّم–:"التقوى هاهنا " وأشار بيده إلى صدره ثلاث مرّات" [5].

وكتب عُمَرُ بنُ عبد العزيز–رحمه الله تعالى– إلى رجلٍ:"أُوصيك بتقوى الله – عز وجل – التي لا يقبلُ غَيرَها، ولا يَرْحَمُ إلاَّ أهلَها، ولا يُثيبُ إلا عليها، فإنَّ الواعظين بها كثير، والعاملين بها قليل، جعلنا الله وإيَّاك من المتقين"[6].

وكان أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – يقول في خطبته: أما بعد، فإني أُوصيكم بتقوى الله، وأنْ تُثنوا عليه بما هو أهلُه، وأنْ تَخلِطُوا الرغبةَ بالرهبة، وتجمعوا الإلحافَ بالمسألة، فإنَّ الله – عز وجل – أثنى على زكريا وأهل بيته، فقال: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء الآية :.9][7].

---

[1]أخرجه: ابن أبي الدنيا كما في " الدر المنثور " **1/55**.

[2]أخرجه: ابن أبي شيبة(**35160**)، وابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم كما في " الدر المنثور " **1/57**.

[3]أخرجه: عبدالرزاق الصنعاني في "تفسيره"**1\94** ، والحاكم **4/20**. والثوري في "تفسيره"**1\79**.

[4]أخرجه: أبو نعيم كما في الحلية ، وابن ابي شيبة كما في" الدر المنثور " **1/55**.

[5]رواه مسلم والتّرمذي واحمد.

[6]أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " **5/267**.

[7]أخرجه: ابن أبي شيبة (**34431**) ، والحاكم **2/383**، وأبو نعيم في " الحلية " **1/36**،وابن الجوزي في "تاريخ المنتظم."

ولما حضرته الوفاةُ، وعهد إلى عمر، دعاه، فوصَّاهُ بوصيةٍ، وأوَّلُ ما قالَ له: **اتَّقِ الله** يا عمر وَاعْلَمْ أَنَّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَمَلًا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ , وَعَمَلًا بِاللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ بِالنَّهَارِ , وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةً حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ , وَإِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثِقَلُهُ عَلَيْهِمْ , وَحَقَّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْحَقُّ غَدًا أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا , وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمُ الْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا وَخِفَّتِهِ عَلَيْهِمْ , وَحَقَّ لِمِيزَانٍ يُوضَعُ فِيهِ الْبَاطِلُ غَدًا أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا , وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَهُمْ بِأَحْسَنِ أَعْمَالِهِمْ , وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَإِذَا ذَكَرْتَهُمْ قُلْتَ: إِنِّي لَأَخَافُ أَنْ لَا أَلْحَقَ بِهِمْ , وَأَنَّ اللهَ تَعَالَى ذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ فَذَكَرَهُمْ بِأَسْوَإِ أَعْمَالِهِمْ , وَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَحْسَنَهُ , فَإِذَا ذَكَرْتُهُمْ قُلْتُ: إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا أَكُونَ مَعَ هَؤُلَاءِ , لِيَكُونَ الْعَبْدُ رَاغِبًا رَاهِبًا , لَا يَتَمَنَّى عَلَى اللهِ وَلَا يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ , فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبًا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ , وَهُوَ آتِيَكَ , وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُنْ غَائِبًا أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ , وَلَسْتَ بِمُعْجِزِهِ "[1].

وكان أبو الدّرداء τ يقول:" تمامُ التقوى أنْ يتقي اللهَ العبدُ حتى يتقيه من مثقال ذرَّةٍ، حتى يتركَ بعضَ ما يرى أنَّه حلالٌ خشيةَ أنْ يكون حراماً يكون حجاباً بينه وبينَ الحرام، فإنَّ الله قد بَيَّن للعباد الذي يُصيرهم إليه فقال: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾ فلا تحقرن شيئاً من الخير أنْ تفعله، ولا شيئاً من الشرِّ أنْ تتقيه"[2].

وقد سئل أبوهريرة τ عن التقوى فقال:"هي طريق الشوك،يحتاج الماشي فيها إلى صبر شديد"[3].

وعن ابن مسعود قال : إن من أكبر الذنب عند الله أن يقول الرجل لأخيه : اتق الله فيقول : عليك بنفسك أنت تأمرني ؟ ![4].

---

[1]أخرجه: ابن أبي شيبة(34433)، وأبو نعيم في " الحلية " 36/1.

[2]أخرجه: نعيم بن حماد في " زياداته على الزهد " لعبد الله بن المبارك (79) ، وابن أبي الدنيا كما في " الدر المنثور " 58/1.

[3]أخرجه: ابن أبي الدنيا في " كتاب التقوى " كما في " الدر المنثور " 57/1.

[4]إخرجه وكيع وابن المنذر والطبراني والبيهقي في الشعب

وعن سفيان قال : قال رجل لمالك بن مغول :"اتق الله فقط فوضع خده على الأرض تواضعا لله"[1].

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ: كَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما:«أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّكَ إِنِ اتَّقَيْتَ اللَّهَ كَفَاكَ النَّاسَ، وَإِنِ اتَّقَيْتَ النَّاسَ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ شَيْئًا، فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»[2].

وأحسن من قال

تزوّد للذي لابدّ منه ... فإنّ الموت ميقات العباد
وتب مماجنيت وأنت حيٌّ ... وكن متهيئاً قبل الرّقاد
ستندم إن رحلت بغير زاد ... وتشقى إذيُناديك المناد
أترضى ان تكون رفيق قوم ... لهم زاد وأنت بغير زاد

تعريف حسن الخلق:التّخلّي من الرّذائل والتّحلّي بالفضائل"[3].

قَال الله تَعَالَى : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[4].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ–رضي الله عنهما–:"دِينٌ عَظِيمٌ لَا دِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ وَلَا أَرْضَى عِنْدِي مِنْهُ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ. وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ آدَابُ الْقُرْآنِ"[5].

وسُئِلَتْ عَائِشَةُ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ:"كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ"[6].

وقال تَعَالَى : ﴿**وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾[7].

(1)– وعن أنس τ قال : كَانَ رسولُ الله ρأحْسَنَ النَّاس خُلُقاً[8].

---

[1] أخرج ابن المنذر والبيهقي في الشعب ، كما في الدرر المنثورة 2\73.
[2] أخرجه البيهقي في "الزهد الكبير"(885).
[3] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين 2\294.
[4] القلم الآية :4
[5] تفسير البغوي 5\130.
[6] أخرجه مسلم 746 وأبو داود 1342 والنسائي 3/ 199– 200 وأحمد 6/ 53 والبيهقي 2/ 499
[7] آل عمران الآية: 134
[8] متفقٌ عَلَيْهِ

(2)- وعنه ، قَالَ : مَا مَسِسْتُ دِيبَاجاً وَلاَ حَرِيراً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ اللهِ ρ، وَلاَ شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رسولِ اللهِ ρ، وَلَقَدْ خدمتُ رسول اللهِ ρعَشْرَ سنين ، فما قَالَ لي قَطُّ : أُفٍّ، وَلاَ قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ : لِمَ فَعَلْتَه ؟ وَلاَ لشَيءٍ لَمْ أفعله : ألاَ فَعَلْتَ كَذا ؟[1].

(3)- وعن الصعب بن جَثَّامَة τقَالَ : أهديتُ رسولَ الله ρحِمَاراً وَحْشِيّاً ، فَرَدَّهُ عَلَيَّ ، فَلَمَّا رأى مَا في وجهي ، قَالَ :(إنّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إلاَّ لأنّا حُرُمٌ)[2].

(4)- وعن النَّوَاس بنِ سمعان – رضي الله عنه – ، قَالَ : سألتُ رسولَ اللهρعن البِرِّ وَالإثم ، فَقَالَ :(البِرُّ : حُسنُ الخُلقِ ،والإثمُ : مَا حاك في صدرِك ، وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)[3].

(5)- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قَالَ : لَمْ يكن رسولُ الله ρفَاحِشاً وَلاَ مُتَفَحِّشاً ، وكان يَقُولُ :(إنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أحْسَنَكُمْ أخْلاَقاً)[4].

(6)- وعن أَبي الدرداءِ τ: أن النبي ρ قَالَ:(مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العبدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ ، وَإنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ)[5].

البَذِيُّ: هُوَ الَّذِي يتكلَّمُ بِالفُحْشِ ورديء الكلامِ .

(7)- وعن أَبي هريرة τقَالَ : سُئِلَ رسولُ الله ρعَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : (تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ) ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ : (الفَمُ وَالفَرْجُ)[6].

(8)- وعنه، قال: قَالَ رسول الله ρ:(أَكْمَلُ المؤمنينَ إيمَاناً أحسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ) [7].

(9)- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : سَمِعْتُ رسولَ الله ρ يقول:(إنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ)[8] .

---

[1]متفقٌ عَلَيْهِ
[2]متفقٌ عَلَيْهِ
[3]رواه مسلم
[4]رواه البخاري
[5]رواه الترمذي ، وقال : (حديث حسن صحيح).
[6]رواه الترمذي، وقال : (حديث حسن صحيح)
[7]رواه الترمذي وقال : (حديث حسن صحيح.)
[8]رواه أبو داود في سننه برقم **4798.**

(10)- وعن أَبي أُمَامَة الباهِليِّ τقَالَ : قَالَ رسول اللهρ (أنَا زَعِيمٌ ببَيتٍ في ربَض الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ ، وَإنْ كَانَ مُحِقّاً ، وَببَيْتٍ في وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ ، وَإنْ كَانَ مَازِحاً ، وَببَيْتٍ في أعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ)[1].

الزَّعِيمُ : الضَّامِنُ .

(11)- وعن جابر τ: أنَّ رسول الله ρقالَ :(إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إليَّ ، وَأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ ، أحَاسِنَكُم أخْلاَقاً ، وَإنَّ أبْغَضَكُمْ إلَيَّ وَأبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهقُونَ) قالوا : يَا رسول الله ، قَدْ عَلِمْنَا (الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ) ، فمَا المُتَفَيْهقُونَ ؟ قَالَ : (المُتَكَبِّرُونَ)[2].

الثَّرْثَارُ: هُوَ كَثِيرُ الكَلاَمِ تَكَلُّفاً .

وَ المُتَشَدِّقُ: المُتَطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلاَمِهِ ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَلءِ فِيهِ تَفَاصُحاً وَتَعْظِيماً لِكَلامِهِ.

وَ المُتَفَيْهِقُ: أصلُهُ مِنَ الفَهْقِ وَهُوَ الامْتِلاَءُ ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالكَلاَمِ وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ ، ويُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّراً وَارْتِفَاعاً ، وَإظْهَاراً للفَضيلَةِ عَلَى غَيْرِهِ .

وروى الترمذي عن عبد الله بن المباركِ رحِمه الله في تفسير حُسْنِ الخُلُقِ أنه قَالَ:(هُوَ طَلاَقَةُ الوَجه ، وَبَذْلُ المعروف ، وَكَفُّ الأذَى) .

أركان حسن الخلق

1. الصّبر:الإحتمال على الاذى وكظم الغيظ.
2. العفة: تجنّب الإنسان من الرّذائل والقبائح.
3. الشّجاعة:عزة النّفس والإيثار بمعالي الأخلاق.

---

[1] رواه أبُو داود في سننه.

[2] رواه الترمذي ، وقال : (حديث حسن).

4. العدل: الإعتدال والتّوسط والإقتصاد.
5. الصّدق:هُوَ الاخْبَارُ عَنْ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

أركان الأخلاق السّافلة (السيّئة)

1. الجهل:إدراك القبيح حسناً والحسن قبيحاً.
2. الظلم: وضع الشيئ على غير موضعه.
3. الشهوة: الحرص بالفواحش والدناءات.
4. الغضب: مايولد الكبر والحقد والحسد والعدوان.
5. الكذب:هُوَ الاخْبَارُ عَنْ الشَّيْءِ بِخِلاَفِ مَا هُوَ عَلَيْهِ.

مسألة:هل يمكن اكتساب الخلق الحسن؟

نعم يمكن اكتساب الخلق الحسن عبر اتّباع إحدى الطّرق التّالية:

- تربية النفس على حسن الخلق لقول النبي ρ:"إنّما العلم بالتّعلّم وإنما الحلم بالتحلّم ومن يتحرّ الخير يعطه ومن يتّق الشّر يوقه"[1].
- مصاحبة أهل الخير والصلاح لقول النبي ρ:"المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل "[2].
- التّضرّع إلى الله بأن يمنّ عليك هذه النّعمة فقد كان من هدي النبي ρأن يقول:"اللهم كما حسنت خَلقي فاحسن خُلقي".[صحيح الجامع من حديث ابن مسعود].

[1] صحيح الجامع من حديث أبي هريرة.
[2] صحيح أبي داود وصحيح الترمذي من حديث أبي هريرة.

أخي المجاهد:لايسعنا سوى أن نختم الفصل جملة من الحكم نستهلّ بها ما روي عن الرّسول ρ أنه قال:(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَأَكْرِمُوهُ بِحُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ فَإِنَّهُ لَا يَكْمُلُ إلَّا بِهِمَا)[1].

وَقَالَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَدْوَإِ الدَّاءِ ؟ قَالُوا بَلَى .

قَالَ الْخُلُقُ الدَّنِيُّ وَاللِّسَانُ الْبَذِيُّ .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ ضَاقَ رِزْقُهُ .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : الْحَسَنُ الْخُلُقِ مَنْ نَفْسُهُ فِي رَاحَةٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي سَلَامَةٍ .

وَالسَّيِّئُ الْخُلُقِ النَّاسُ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ ، وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَنَاءٍ .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ :

إذَا لَمْ تَتَّسِعْ أَخْلَاقُ قَوْمٍ ... تَضِيقُ بِهِمْ فَسِيحَاتُ الْبِلَادِ

إذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يُخْلَقْ لَبِيبًا ... فَلَيْسَ اللُّبُّ عَنْ قِدَمِ الْوِلَادِ

فَإِذَا حَسُنَتْ أَخْلَاقُ الْإِنْسَانِ كَثُرَ مُصَافُوهُ ، وَقَلَّ مُعَادُوهُ ، فَتَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ الصِّعَابُ ، وَلَانَتْ لَهُ الْقُلُوبُ الْغِضَابُ .

ويقول يوسف بن أسباط علامة حسن الخلق عشر خصال :قلة الخلاف، وحسن الإنصاف ، وترك طلب العثرات ، وتحسين ما يبدو من السيئات ، والتماس المعذرة ، واحتمال الأذى ، والرجوع بالملامة على النفس، والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب غيره ، وطلاقة الوجه للصغير والكبير ، ولطف الكلام لمن دونه ولمن فوقه"[2].اهـ.

وممايؤكد على أن الخلق الحسن يحمل على الفضائل، ويمنع من الرذائل،قولهم:

إن الكريم إذا تمكن من أذى ... جاءته أخلاق الكرام فأقلعا

وترى اللّئيم إذا تمكن من أذى ... يطغى فلايبقى لصلح موضعا

---

[1]أدب الدنيا والدين 1\299

[2]احياء علوم الدّين لمحمد الغزالي 4\104.

وقال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور –رحمه الله تعالى-:"واعلم أن جُماع الخلق العظيم الذي هوأعلى الخُلق الحسن هوالتدين، ومعرفةالحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبرعلى المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفةُ، والعفو، والجمود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة "[1].اهـ.

وقال الإمام القرطبي–رحمه الله-:ومن الخلق الحسن:"دفع المكروه والاذى، والصبر على الجفا بالاعراض عنه ولين الحديث"[2].اهـ.

وعَن أَنَسٍ–رضي الله عنه–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:"إِنّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ"[3].

عن سهل بن سعد الساعدي قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"إن الله يحب معالي الأخلاق ، ويكره سفسافها"[4] .

عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كرم المرء دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه »[5].

قال الفضيل بن عياض :«إذا خالطت الناس فخالط الحسن الخلق ؛ فإنه لا يدعو إلا إلى خير»[6].

---

[1] التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور – الطبعة التونسية – 29\64.

[2] تفسير القرطبي 13\298.

[3] رواه ابن ماجه في سننه.

[4] "مكارم الأخلاق" للخرائطي(1\4).

[5] "مكارم الأخلاق " للخرائطي (1\11).

الفصل الرابع :التّحلّي بالصّدق والتخلّي من الكذب

تعريف الصدق:هُوَ الاخْبَارُ عَنْ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ.

تعريف الكذب:هُوَ الاخْبَارُ عَنْ الشَّيْءِ بِخِلاَفِ مَا هُوَ عَلَيْهِ[1].

قال تعالى:﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[2].

وقال أيضاً:﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**﴾[3].

وقال أيضاً:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[4].

أمر الله تعالى عباده المؤمنين الصدق ومدح أهل الصدق، وحذر عنهم الكذب وذمّ أهلها، وجعل الصدق خلقاً رفيعة وسمة بارزة لأوليائه الأبرار وعلى مقدّمتهم أنبياءه ورسله ، لهذا أصبحت صفة الصدق صفة ملازمة للأنبياء، فلا ترى نبياً من الأنبياء وُصف بالكذب بل على العكس تراهم موصوفون في القرآن والسنّة بأنّهم هم الصادقون ، يقول تعالى عن ابراهيم عليه السلام:﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾[5] .

---

[6]"مكارم الأخلاق" للخرائطي (1\31).

[1]أدب الدنيا والدين للماوردي 1\287.

[2]النساء الآية: 69.

[3]النساء الآية: 122.

[4]التوبة الآية: 119.

[5]مريم الآية:41.

ويقول عن ادريس عليه السلام :﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾[1] .

ويقول عن اسماعيل عليه السلام:﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾[2] .

لعلّك رأيت معي أنّها صفّة ملاصقة للأنبياء وكيف لا وهم حملة الأمانة ومبلّغو شريعة ربّ العالمين إلى العباد إنسهم وجنّهم ، ومفسّرو القرآن والحكمة إلى من تهمّهم ، وستجد أكثر من هذا من الأمثلة حول توصيف الأنبياء بالصّدق والأمانة في القرآن إذا تدبّرته ومعّنت نظرك فيه .

فمادام الأنبياء معروفون بالصدق وموصوفون بها فلا بدّ أن يتّصف بها نبيّنا محمد –صلّى الله عليه وسلّم– بأكمل وجه وأحسن هيئة لها ، ومن المعجزات أنّه لم يكذب طيلة حياته قط حيث كان يُلقب قبل البعثة "**الصّادق الأمين** " .

وإذا كان الحبيب –صلوات ربّي وسلامه عليه–يُلقب قبل البعثة بالصادق الأمين فمن البديهيات أن يوصف بها بعد البعثة ويتّصف بها حيث يُبلّغ من أصدق القائلين– **الله ربّ العالمين** – .

وبعد سنوات قيل أنّها كانت ثلاث سنوات استمرّت الدعوة فيها سريّة أُمر عليه أفضل الصّلاة وأزكى السلام على أن يجهر بالدعوة امتثالا بهذه الآية الكريمة : ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[3].

---

(1)مريم الآية: **56**.
(2)مريم الآية:**54**.
(3)الحجر :**94**

قال ابن كثير —رحمه الله تعالى-:" يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا رَسُولَهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، بِإِبْلَاغِ مَا بَعَثَهُ بِهِ وَبِإِنْفَاذِهِ والصَّدع بِهِ، وَهُوَ مُوَاجَهَةُ الْمُشْرِكِينَ بِهِ، كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: {**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**} أَيْ: أَمْضِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ.وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْجَهْرُ بِالْقُرْآنِ فِي الصَّلَاةِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: مَا زَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا، حَتَّى نَزَلَتْ: {**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**} فَخَرَجَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ"[1].

استجابة لأمر الله – جلّ جلاله وتقدّست كلماته- قرّر النّبي أن يجهر بالدعوة واستخدم لتحقيقها اسلوب **حشد الأمّة** إلى صعيد واحد بادئاً من قرابته وعشيرته عندها صعد النبي-صلّى الله عليه وسلّم- جبل الصفا ونادي بأعلى صوته " يا بني كذا.. يا بني كذا" قبيلة تلو أُخرى لتجمع القبائل جميعها فأتوا اليه جميعا حتى أنه من كان لا يستطيع أن ياتي أرسل رسولا ينوب عنه ويستمع له... والقصّة مشهورة في الصحاح فاستمع معي بعضاً منها.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ-رضي الله عنهما- قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**} [الشعراء: 214] وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ[2]، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: «يَا صَبَاحَاهْ»، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: **مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا**، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا

[1] تفسير القرآن العظيم 4\551.

[2] قال الإمام النووي الظاهر أن هذا كان قرآنا أنزل ثم نسخت تلاوته ولم تقع هذه الزيادة في روايات البخاري.

جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ {**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ** }وَقَدْ تَبَّ، كَذَا قَرَأَ الْأَعْمَشُ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ"[1].

فلم يردّ قوله ولم يعترض سوى أبو لهب اللّعين الذي جُوزي بالهلاك والخسران والوبار .

ومن معجزات صدقه- صلّى الله عليه وسلّم- أنّه كان يُخبر عن الغيبيات بقدر ما اطّلعه الله ورضي له ، فعن عبدالله بن مسعود-رضي الله عنه- أنه قال: حدثنا رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم- وهو الصادق المصدوق:" إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، فَيَكُونَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهَ إِلَيْهَ الْمَلَكَ بِأَرْبَعٍ كَلِمَاتٍ فَيَقُولُ اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَلْيَسْبِقْ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلَهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا" "[2].

الشاهد من الحديث أنّ فيه أخباراً غيبية كانت لدى بعض الأقوام في هذا العهد بالذّات أقرب إلى الخيال حيث لم يكن أمامهم سوى التّصديق بمجرّد أنّها صدرت من عند الذي لا ينطق عن الهوى، لكنّها اليوم وبعد ألوف سنين مضت، أصبح هذا الحديث من مقتضيات علم الحديث، حيث ثبت لدى المتخصّصين في علم الطبّ الحديث واقعياً وعملياً على أنّ الجنين إذا كملت له أربعة أشهر يُستطاع أن يعرف بواسطة الحواسيب الطبيّة ما إذا هو ذكراً أو أُنثى ، وهذه المعلومة العلمية الحديثة أدت أن يعتنق كثير من أطبّاء الكفار الغربيين الإسلام — ولله الحمد-.

---

[1] صحيح مسلم 1\193.

[2] رواه البخاري 3208 ومسلم 6666 وأبو داود 4708، الى آخر الحديث.

يقول الله تبارك وتعالى:﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾[1].

قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله تعالى-:"يعني جل ثناؤه بقوله:"**الله لا إله إلا هو ليجمعنكم**"، المعبود الذي لا تنبغي العبودة إلا له، هو الذي له عبادة كل شيء وطاعة كل طائع.

وقوله:"**ليجمعنكم إلى يوم القيامة**"، يقول: ليبعثنّكم من بعد مماتكم، وليحشرنكم جميعًا إلى موقف الحساب الذي يجازي الناس فيه بأعمالهم، ويقضي فيه بين أهل طاعته ومعصيته، وأهل الإيمان به والكفر"**لا ريب فيه**"يقول: لا شك في حقيقة ما أقول لكم من ذلك وأخبركم من خبري: أنّي جامعكم إلى يوم القيامة بعد مماتكم "**ومن أصدق من الله حديثًا**"يعني بذلك: فاعلموا حقيقة ما أخبركم من الخبر، فإني جامعكم إلى يوم القيامة للجزاء والعرض والحساب والثواب والعقاب يقينًا، فلا تشكوا في صحته ولا تمتروا في حقيقته"[2].اهـ.

بعدما استمعت معي هذه الآية وعلمت —وكنت تعلم- أنّ ربّنا هو **أصدق القائلين** وأدركت أنّنا نُحشر غداً ويُعرض لنا أعمالنا صغيرها وكبيرها فماذا عملتَ لها؟ وما هو استعدادك لذلك اليوم الكئيب الذي لاينفع فيه مال ولا بنون ولا قرابة ولا صداقة ؟.

ويقول الله تبارك وتعالى في آية أُخرى تشتاق لسماعها الأُذن، ويرتاح لقراءتها اللّسان، وتُثلج تلاوتها صدور المؤمنين:﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**﴾[3] .

---

(1)النساء الآية:**87**.

(2)جامع البيان في تأويل القرآن **8\592**.

(3)النساء الآية: 122.

وذي جملة من الأسئلة أودّ أن نتساءل فيما بيننا :هل هناك أحد أصدق من الله؟ وهل يوجد أحداً أصدق ذي لهجة وأحسن حديثاً من الله؟ الجواب : لا وألف لا، إذاً فطالما علمت أن هناك جنة، **فأين استعدادك لها**؟ وطالما أدركت أن هناك نارا **فأين خوفك منها**؟ هل استعددت **ليوم القيامة وأهوالها**؟وهل جهزت نفسك لظلمات **القبر ووحشته، والصراط ووعرته ، والحساب وشدّته؟**

اعلم أخي :أنّ الصدق سهل ممتع ، والنّطق به قابل للتطبيق ، والإتّصاف بها يسير لمن أُريد له الهداية والرّشاد رغم حيل الشّيطان وتسويلاته وتزيينه للكذب وحثه بالتّعود عليها ، فكيف لا يُصدّق أمر الله وأمر رسوله ، وكيف لا يَصْدُق عند الحديث من وقعت على أُذنيه هذه الآية : ﴿**لِيَسْئَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكافِرِينَ عَذاباً أَلِيماً** ﴾. [الأحزاب الآية:8].

قال عبد الواحد بن زيد[1]–رحمه الله تعالى– :"الصدق الوفاء لله بالعمل".

وسئل سهل[2] –رحمه الله تعالى– عن الصدق فقال:"الصدق خوف الخاتمة، والصبر شاهد الصدق، وإنما صعب الصدق على الصديقين، والإخلاص على المخلصين، والتوبة على التائبين، لأن هذه التلبية لها حكم بدل الروح".

قيل لأحمد بن متي:"ما معناه؟ قال:"أن لا يبقى للنفس نصيب" [3].

وقال سهل:"لا يشم أحد رائحة الصدق ما دام يداهن نفسه أو غيره. بل الصدق أن يكون في سره أنه ليس على وجه الأرض أحد طالبه الله بالعبودية غيره، ويكون رجاؤه خوفه ، وخوفه انتقاله، فإذا رآهم الله تعالى على هذه الحالة تولى أمورهم وكفاهم، فصارت كل شعرة من شعورهم تنطق مع الله

---

[1]واعظ من متصوفة البصرة. تلقى أصول علومه عن الحسن البصري. (الحلية 6/156).

[2]أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (المتوفى: 283هـ

[3]فيض القدير 4/ 343 وكتاب الزهد الكبير 2/ 343.

بالمعرفة، فيقول الله تعالى لهم يوم القيامة: «لمن عملتم، ماذا أردتم؟ فيقولون: لك عملنا، وإياك أردنا. فيقول: صدقتم» . فوعزته فقوله لهم في المشاهدة: «صدقتم» ألذ عندهم من نعيم الجنة".

فقيل لأحمد بن متى:"ما معنى قوله: رجاء الصدق خوفه، وخوفه انتقاله؟ فقال: لأن الصدق رجاؤهم وطلبهم، ويخافون في طلبهم أن لا يكونوا صادقين، فلا يقبل الله منهم، كما قال: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾ [المؤمنون: 60] أي وجلة في الطاعة خوف الرد عليهم"[1].اهـ.

قال الله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾[التوبة الآية :119].

وعَنْ قَتَادَةَ –رحمه الله تعالى– فِي قَوْلُهُ:{**اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**} قَالَ: الصِّدْقُ فِي النِّيَّةِ، وَالصِّدْقُ فِي الْعَمَلِ، وَالصِّدْقُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالصِّدْقُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ"[2].

قال أبو جعفر الطبري–رحمه الله تعالى–:"يقول تعالى ذكره للمؤمنين، معرِّفَهم سبيل النجاة من عقابه، والخلاصِ من أليم عذابه: (**يا أيها الذين آمنوا**) ، بالله ورسوله – (**اتقوا الله**) ، وراقبوه بأداء فرائضه، وتجنب حدوده – (**وكونوا**) ، في الدنيا، من أهل ولاية الله وطاعته، تكونوا في الآخرة = (**مع الصادقين**) ، في الجنة. يعني:مع من صَدَق اللهَ الإيمانَ به، فحقَّق قوله بفعله، ولم يكن من أهل النفاق فيه، الذين يكذِّب قيلَهم فعلُهم"[3].

قال مطرف:سمعت مالك بن أنس –رضي الله عنه– يقول :"قلما كان رجل صادقا لا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه ما يصيب غيره من الهرم والخرف"[4].

---

[1]تفسير التستري 1\126.
[2]تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم 6\1907.
[3]جامع البيان في تأويل القرآن 14\558.
[4]الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 8\288.

وعن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه – أنه قال :"لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه شيئا ثم لا ينجزه اقرأوا إن شئتم[**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**] قال : وهي في قراءة عبد الله هكذا قال : فهل تجدون لأحد رخصة في الكذب"[1].

وقال الحسن البصري–رحمه الله تعالى–:"إن أردت أن تكون مع الصادقين، فعليك بالزهد في الدنيا، والكف عن أهل الملة"[2].

أراك –ولا أُزكيك على الله–: أنّك مسلمٌ تقيٌ ورعٌ شجاعٌ يخاف الله –عزّ وجلّ– ويرجوا ثوابه ومن كانت هذه صفته فلا يُرجى أن يتجرّء بالكذب وإن كان مازحاً لأنّها صفة مذمومة من صفات أهل النّفاق والفجور، لذا فبالله عليك: بعد قراءتك لهذه السطور الممتعة أرجوك أن تغيّر حياتك وتعزم أن لا تكذب بعد اليوم أبدا.. والله معك ولن يُضيّعك وسوف يُعوّض لك بما تركته لأجله والله اعلم.

قال الإمام البخاري –رحمه الله تعالى –:حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَكَانَ، قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ، حِينَ عَمِيَ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ، يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ، تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ العَقَبَةِ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ، أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي: أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ

---

[1] أخرجه سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ،وابن عدي ،وأبو الشيخ ، وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان، كما في الدر المنثورة 6\500.

[2] تفسير القرآن العظيم لابن كثير 4\234.

تَخَلَّفْتُ عَنْهُ، فِي تِلْكَ الغَزَاةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ، حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ غَزْوَ إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالمسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ، يُرِيدُ الدِّيوَانَ، قَالَ كَعْبٌ: فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالمسْلِمُونَ مَعَهُ، وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لِأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ: وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعْبٌ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ، وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلًا حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ، وَأَقُولُ: بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ، فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ المخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا

بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلاَنِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «تَعالَ» فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «مَا خَلَّفَكَ، أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ **حَدِيثَ كَذِبٍ** تَرْضَى بِهِ عَنِّي، لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ **حَدِيثَ صِدْقٍ**، تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ، إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لاَ وَاللَّهِ، مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى، وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا هَذَا **فَقَدْ صَدَقَ**، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ». فَقُمْتُ، وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ المتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ، فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلاَنِ، قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ، فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ العَمْرِيُّ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ، فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ، قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فِيهِمَا أُسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا، فَكُنْتُ أَشَبَّ القَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ المسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا التَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ

هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ المَدِينَةِ، إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ، يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنَ البَلاَءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الخَمْسِينَ، إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ، فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ، قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «لاَ، وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ». قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ؟ فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ، حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ، أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، قَالَ: فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ، فَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي

سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا، بِبُشْرَاهُ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ كَعْبٌ: حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، وَلاَ أَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ»، قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: «لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، **إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا، مَا بَقِيتُ**. فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:[**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ**] [التوبة: 117] إِلَى قَوْلِهِ [**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**][التوبة: 119] فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلاَمِ، أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ - شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:[**سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ**][التوبة: 95] إِلَى قَوْلِهِ [**فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ القَوْمِ الفَاسِقِينَ**][التوبة: 96]، قَالَ كَعْبٌ: وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ:[**وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا**][التوبة: 118]. وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ". [1]

وفيه: أنّ الصدق فيه النجاة في الدّارين بينما الكذب يُورث الهلاك والخسران في الدّارين. **وفيه:** عظم قدر المصدّقين وعلاء شأنهم حيث أُنزل في صدق توبتهم وخبرهم وكلامهم مع رسول الله ومع المؤمنين قرآنا يُتلى إلى قيام الساعة والله أعلم.

عَوِّدْ لِسَانَك قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَ بِهِ ... إنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوَّدْتَ مُعْتَادُ

مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ ... فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَانْظُرْ كَيْفَ تَرْتَادُ.

يقول عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–:"لاَنْ يَضَعَنِي الصِّدْقُ وَقَلَّمَايَفْعَلُ، أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعَنِي الْكَذِبُ وَقَلَّمَا يَفْعَلُ"[2].

ويقول عمر بن عبد العزيز–رحمه الله تعالى–:"ما كذبت منذ علمت أن الكذب شين لصاحبه"[3].

وَعَنْ أَصْبَغَ بنِ خَلِيْلٍ–رحمه الله تعالى–أنه سَمِعَ الغَازِيَّ بن قيس أبو محمد الأندلسي–رحمه الله تعالى– يَقُوْلُ:"وَاللهِ مَا كَذَبتُ كِذبَةً قَطُّ مُنْذُ اغْتَسَلتُ، وَلَوْلاَ أَنَّ عُمَرَ بنَ عَبْدِ العَزِيْزِ قَالَهُ مَا قُلْتُهُ"[1].

---

[1] صحيح البخاري(6\3)، السنن الكبرى للإمام البيهقي(9\33) ، مسند أبي داود الطيالسي(2\291)،مصنف عبدالرزاق الصنعاني (5\397)، مصنف ابن أبي شيبة(7\423).

[2] أدب الدنيا والدين للماوردي (1\263).

[3] الطبقات الكبرى لابن سعد (5\399) ، العلل لاحمد بن حنبل (1\311)، تاريخ الخلفاء للسيوطي (1\95) ،تاريخ دمشق لابن عساكر(45\154).

[1] سير اعلام النبلاء(8\77)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (2\136).

وقَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ–رحمه الله تعالى–:"لَمَّا حَضَرَ أَبِي الْوَفَاةَ جَمَعَ بَنِيهِ , وَقَالَ: يَا بَنِيَّ عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَتَعَاهَدُوهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ حَتَّى لَوْ قَتَلَ أَحَدُكُمْ قَتِيلًا ثُمَّ سُئِلَ عَنْهُ أَقَرَّ بِهِ، وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ كِذْبَةً مُنْذُ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ، يَا بَنِيَّ عَلَيْكُمْ بِسَلَامَةِ الصُّدُورِ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخْرُجُ مِنْ بَابِي وَمَا أَلْقَى مُسْلِمًا إِلَّا وَالَّذِي فِي نَفْسِي لَهُ كَالَّذِي فِي نَفْسِي لِنَفْسِي، أَفَتَرَوْنَ أَنِّي أُحِبُّ لِنَفْسِي إِلَّا خَيْرًا"[2].

هؤلاء هم سلفنا الكرام – رحمهم الله تعالى– لم يكذبوا يوماً عامدين بل كانوا يرون التعمّد إلى الكذب جُرماً عظيماً وإثماً كبيراً ، كيف لا وهم علموا علم اليقين بأنّ الكذب بريد للكفر وبداية المروق من الإسلام ومن ثمّ الدّخول إلى النّار –عياذاً بالله– كما أنّ الصدق محطّة السّفر والتّوجّه إلى الجنّة وإلى دار الفردوس مأوى المؤمنين ومساكن أهل التقوى والعفاف والإحسان والله أعلم.

قال الإمام مسلم –رحمه الله تعالى– في صحيحه : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، ح وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ شَقِيقٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[3].

اعلم أخي الحبيب –وفّقنا الله بما فيه صلاحنا – أنّ العوض عظيم ، والتكلفة رخيصة ، والمدّة قصيرة ، والتعود عليها يسير ، عش على الصدق وبالصدق وللصّدق تفز دار النّعيم التي أُعدّت للمتّقين الصّادقين ، ولا تنس أنّه فيها ما لاعين رأت، ولا أُذن سمعت، ولاخطر على قلب البشر.

---

[2]سير السلف الصالحين لاسماعيل بن محمد الأصبهاني **1\974**، تاريخ دمشق لابن عساكر **37\407**.

[3]البخاري (**8\25**) ، مسلم (**4\2012**) ، الحاكم (**1\217**)،احمد (**6\396**).

أما تُحبّ –عزيزي الغالي– أن تلقى الله صادقاً ، ويُكتب اسمك في ديوان الصّادقين ، ويُنصب لك راية الصّدق ، وتُحشرك غداً مع الصدّيقين والنّبيين والشّهداء والصّالحين .

أمامك طريقان لا ثالث لهما:أحدهما وعر مظلم مستوحش غير معبّد يُطلق عليه"**طريق الكذب** " والآخر مستقيم مضيئ معبّد مؤمّن سلكه الصّالحون والأبرار يُقال له "**طريق الصّدق** " .

طريق الكذب يمرّ على عدّة مجاميع للقطاع والشّرور وأهل الفساد والإجرام وينتهي إلى جهنّم وبئس المصير.

وطريق الصدق يمرّ على عدّة مجاميع للأشراف والمتّقين وأهل الإصلاح وينتهي إلى جنّة عدن تجري من تحتها الأنهار يخلد فيها أهلها منعّمون ومتمتّعون بكلّ ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين.

فإن لم تكن غبيّاً، ساذجاً، تائهاً، شقيّاً، قاصر النّظر لم يُرد له الهداية فستختار طريق الصّدق لتتبوء في مقعد صدق عند ملك مقتدر.

وإن اخترت الآخر فاعلم أنّك لن تضرّ إلا نفسك ، وإنّ ربّي غنيٌّ عن أمثالك ، وإنّ جهنّم لأمثالك قد هُيأت ، وسوف تندم وعندها لن ينفع الندم.

قال الإمام أحمد –رحمه الله تعالى – في مسنده :حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ الْهَاشِمِيُّ، أَخْبَرَنَا إِسْمَاعِيلُ، أَخْبَرَنَا عَمْرٌو، عَنِ الْمُطَّلِبِ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ "[1].

أخي الحبيب : إن كنت فعلا ممن يرغب دخول الجنان ، ويخشى العذاب ، ويخاف يوم الحساب، ويتذكّر ما اقترفت يداه من الذّنوب ، ويسترجع ما مشت إليه رجلاه من الخطايا ، ويرى ذنوبه

(1) أحمد في "مسنده"(**37\417**)،الحاكم في" المستدرك " (**4\399**)،البيهقي في "السنن الكبرى"(**6\471**).

كالجبال الرّواسي ، ويتمنّى الموت في كلّ حين ، ولا ينتظر مساءه إذا أصبح ، فاضمن لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ما طلب منك تفلح في الدّنيا بكلّ الفلاح، وتفوز في الآخرة بكلّ المرغوب .

ويا حبّذا لو كتبت الحديث بخطّ جميل ملوّن مكبّرة ، وعلّقته بمرأى عينيك من الجدار أو وضعته في جيبك ، أو في محفظتك الخاصّة لتقرءه دوماً، وتستذكره طيلة حياتك حتى يتيسّر لك فهمه وحفظه ، وتتعوّد عليه نفسك ، وتعمل به في النّهاية ، ووتُطبّقه على حياتك وعلى من تعول.

و عَنْ بُرَيْدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، قَالَ: حَفِظْتُ مِنْهُ: «الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ»[2].

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطحاوي –رحمه الله تعالى-:"وَالطُّمَأْنِينَةُ مَعَهَا حُسْنُ الْخُلُقِ , وَالرِّيبَةُ مَعَهَا سُوءُ الْخُلُقِ وَمَا يَتَرَدَّدُ فِي الصُّدُورِ , وَلَا يُخْرِجُهُ فُتْيَا النَّاسِ"[3].

قال الإمام ابن رجب الحنبلي –رحمه الله تعالى-:"فَالصِّدْقُ يَتَمَيَّزُ مِنَ الْكَذِبِ بِسُكُونِ الْقَلْبِ إِلَيْهِ، وَمَعْرِفَتِهِ، وَبِنُفُورِهِ عَنِ الْكَذِبِ وَإِنْكَارِهِ، كَمَا قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: إِنَّ لِلْحَدِيثِ ضَوْءًا كَضَوْءِ النَّهَارِ تَعْرِفُهُ، وَظُلْمَةً كَظُلْمَةِ اللَّيْلِ تُنْكِرُهُ"[4].

وَأخرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ رَبِيعَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سُوِيدٍ، وَأَبِي أُسَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي تَعْرِفُهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَلِينُ لَهُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ، وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ قَرِيبٌ، فَأَنَا أَوْلَاكُمْ بِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُمِ الْحَدِيثَ عَنِّي تُنْكِرُهُ قُلُوبُكُمْ، وَتَنْفِرُ عَنْهُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ، وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْكُمْ بَعِيدٌ، فَأَنَا أَبْعَدُكُمْ مِنْهُ»[1] .

---

[2] مسند الشهاب للقضاعي (1\186)،مشكل الآثار (5\388) ،معجم ابن الأعرابي (3\1088)،تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (7\187).

[3] مشكل الأثار (5\388).

[4] جامع العلوم والحكم (2\104).

[1] مسند الإمام أحمد (25\456).

أخي الكريم :اعلم أنّ الصدق صفة محمودة تطمئنّ لها القلوب ، وتستقرّ لسماعها الأذهان ، وتُقرّب لذوقها الأفهام ، وتُصلح الأدغان ، وتُعالج النّفوس ، وتصفي الأرواح ، وهي سمة أهل التقوى والإصلاح ، وبها تنزل البركات والخيرات ، وتُفتح لأجلها الأمّة باب السداد والرّشاد والصّواب والإستقامة والله اعلم.

بينما الكذب صفة مذمومة تُعكّر الصفوة وتُحوّله إلى كدرة ودخن ، تستنكرها القلوب ، وتستوحشها الأسماع ، وتُفرّق الأفهام ، وتغرس العداوة والبغضاء والشحناء في أوساط المجتمع ، ولن يفلح قوم تعوّدوا على الكذب والغشّ والخداعة ، وتخلق القلق والتردّد والرّيبة والغليان ، وأخيراً هي سمة أهل الشرّ والفساد.

قال الإمام البخاري –رحمه الله تعالى– : حَدَّثَنَا حَيْوَةُ بْنُ شُرَيْحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ، عَنْ ضُبَارَةَ بْنِ مَالِكٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ، أَنَّ سُفْيَانَ بْنَ أُسَيْدٍ الْحَضْرَمِيَّ حَدَّثَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ، وَأَنْتَ لَهُ كَاذِبٌ»[2].

وَكَانَ إِبْرَاهِيم النَّخعِيّ –رحمه الله تعالى– متواريا، فَكَانَ أَصْحَابه يدْخلُونَ عَلَيْهِ، فَإِذا خَرجُوا من عِنْده، يَقُول لَهُم: إِذا سئلتم عني، فَقولُوا: لَا نَدْرِي أَيْن هُوَ، فَإِنَّكُم لَا تَدْرُونَ إِذا خَرجْتُمْ إِلَى أَيْن أتحول، وَكَانَ تحوله من مَوضِع من الدَّار إِلَى مَوضِع آخر"[3].

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي–رحمه الله تعالى–:"وَمِنْ ذَلِكَ (أي من الظلم): كَذِبُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ، فَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُحَدِّثَهُ فَيَكْذِبَهُ، بَلْ لَا يُحَدِّثُهُ إِلَّا صِدْقًا"[1].

وقال الملا الهروي القاري –رحمه الله تعالى– :"وَالْمَعْنَى: جِنَايَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْكَ إِذَا حَدَّثْتَ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ. (حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مُصَدِّقٌ وَأَنْتَ بِهِ) أَيْ: لَهُ كَمَا فِي رِوَايَةٍ (كَاذِبٌ) . أَيْ: بِحَدِيثٍ

---

[2]البخاري في "الأدب المفرد" (**1\143**) ، أبو داود في "سننه"(**4\293**) ،أبو نعيم في "الحلية"(**6\99**)، البيهقي في "السنن الكبرى"(**10\336**).

[3]شرح السنّة للبغوي (**13\158**).

[1]جامع العلوم والحكم (**2\275**).

كَذِبٍ، وَهُوَ يَعْتَمِدُ عَلَيْكَ وَيَثِقُ بِقَوْلِكَ، وَظَنَّ بِكَ أَنَّكَ مُسْلِمٌ لَا تَكْذِبُ فَيُصَدِّقُكَ، وَالْحَالُ أَنَّكَ كَاذِبٌ"[2].

قال الجنيد–رحمه الله تعالى– :"حقيقة الصدق: أن تصدق في وضع لا ينجيك فيه إلا الكذب"[3].

اعلم أخي الكريم : أنّه من العيب الجسام والجُرم العظام أن تكذب لأخيك المسلم متعمّداً تُريد استفزازه أو أن تضحك عليه وتصفه بالسّذاجة والسّطحية ، أو أنّه ممن يسهل لك أن تُكذب له إمّا بعلاقته معك حيث لا يشكّ فيك بوثوقه فيك ، أو أنّه مسكين ليّن سهل لا يُبدي شكوكاً عن المسلمين كعادته، وإذا فعلت هذه الجريمة نحو مسلم كهذا– ولن تفعل بإذن الله– فاعلم أنّك منافق خائن وخادع غشوش يستحق الزجر والهجران والمقاطعة والتوبيخ والتأنيب والتقريع وأن يُقرء عليه الفاتحة ألف مرّة باعتباره مريضاً مرضاً مزمناً عضالاً قاتلا ربّما لا يُعالج بطريقة سهلة بل تنتقل عدواه حتى تُرديك إلى جهنّم وبئس المصير.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:"آيَةُ المنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ "[4].

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ –رحمه الله تعالى– عَلَى قَوْلِهِ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاثٌ»: هَذَا الْقَوْلُ إِنَّمَا خَرَجَ عَلَى سَبِيلِ الإِنْذَارِ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، وَالتَّحْذِيرِ لَهُ أَنْ يَعْتَادَ هَذِهِ الْخِصَالَ، فَتُفْضِي بِهِ إِلَى النِّفَاقِ، لَا أَنَّ مَنْ بَدَرَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْخِصَالُ، أَوْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ اعْتِيَادٍ أَنَّهُ مُنَافِقٌ"[1].

وقال البغوي – رحمه الله تعالى– :" وَالنِّفَاقُ ضَرْبَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يُظْهِرَ صَاحِبُهُ الإِيمَانَ وَهُوَ مُسِرٌّ لِلْكُفْرِ كَالْمُنَافِقِينَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالثَّانِي: تَرْكُ الْمُحَافَظَةِ عَلَى حُدُودِ

---

[2]مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (7\3044).

[3]المعجم الصوفي (17\93).

[4]البخاري في "صحيحه" (1\16) ، مسلم في "صحيحه" (1\78) ،الترمذي في " جامعه" (4\315)،أحمد في "مسنده" (14\314).

[1]شرح السنّة للبغوي (1\76).

أُمُورِ الدِّينِ سِرًّا، وَمُرَاعَاتُهَا عَلَنًا، فَهَذَا يُسَمَّى مُنَافِقًا، وَلَكِنَّهُ نِفَاقٌ دُونَ نِفَاقٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»، وَإِنَّمَا هُوَ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ"[2].

قال ابن بطال–رحمه الله تعالى– :" أن تمام الإيمان بالأعمال، وأنه يدخل على المؤمن النقص فى إيمانه بالكذب، وخلف الوعد، وخيانة الأمانة، والفجور فى الخصام، كما يزيد إيمانه بأفعال البر"[3].

قال الإمام النووي – رحمه الله تعالى– :"هَذَا الْحَدِيثُ مِمَّا عَدَّهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مُشْكِلًا مِنْ حَيْثُ إِنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ تُوجَدُ فِي الْمُسْلِمِ الْمُصَدِّقِ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ شَكٌّ وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ مُصَدِّقًا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ وَفَعَلَ هَذِهِ الْخِصَالَ لَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ بِكُفْرٍ وَلَا هُوَ مُنَافِقٌ يُخَلَّدُ فِي النَّارِ فَإِنَّ إِخْوَةَ يُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعُوا هَذِهِ الْخِصَالَ وَكَذَا وُجِدَ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَالْعُلَمَاءِ بَعْضُ هَذَا أَوْ كُلُّهِ "[4].

وقال ابن رجب الحنبلي –رحمه الله تعالى– :" وَهَذَا الْحَدِيثُ قَدْ حَمَلَهُ طَائِفَةٌ مِمَّنْ يَمِيلُ إِلَى الْإِرْجَاءِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فَإِنَّهُمْ حَدَّثُوا النَّبِيَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَكَذَبُوهُ، وَائْتَمَنَهُمْ عَلَى سِرِّهِ فَخَانُوهُ، وَوَعَدُوهُ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ فِي الْغَزْوِ فَأَخْلَفُوهُ، وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدٌ الْمُحْرِمُ هَذَا التَّأْوِيلَ عَنْ عَطَاءٍ، وَأَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِ جَابِرٌ، عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَذَكَرَ أَنَّ الْحَسَنَ رَجَعَ إِلَى قَوْلِ عَطَاءٍ هَذَا لَمَّا بَلَغَهُ عَنْهُ، وَهَذَا كَذِبٌ، **وَالْمُحْرِمُ** هَذَا شَيْخٌ كَذَّابٌ مَعْرُوفٌ بِالْكَذِبِ. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ هَذَا مِنْ وَجْهَيْنِ آخَرَيْنِ ضَعِيفَيْنِ أَنَّهُ أَنْكَرَ عَلَى الْحَسَنِ قَوْلَهُ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ، وَقَالَ: قَدْ حَدَّثَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَكَذَبُوا، وَوَعَدُوا فَأَخْلَفُوا، وَائْتُمِنُوا فَخَانُوا وَلَمْ يَكُونُوا مُنَافِقِينَ، وَهَذَا لَا يَصِحُّ عَنْ عَطَاءٍ، وَالْحَسَنُ لَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ عِنْدِهِ وَإِنَّمَا بَلَغَهُ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. فَالْحَدِيثُ ثَابِتٌ عَنْهُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَا شَكَّ فِي ثُبُوتِهِ وَصِحَّتِهِ، وَالَّذِي فَسَّرَهُ بِهِ أَهْلُ الْعِلْمِ الْمُعْتَبَرُونَ أَنَّ النِّفَاقَ فِي اللُّغَةِ هُوَ مِنْ جِنْسِ الْخِدَاعِ وَالْمَكْرِ وَإِظْهَارِ الْخَيْرِ وَإِبْطَانِ خِلَافِهِ، وَهُوَ فِي الشَّرْعِ يَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: النِّفَاقُ

---

[2]المصدر السّابق.

[3]شرح صحيح البخاري لابن بطال (1\90).

[4]المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج (2\46).

الْأَكْبَرُ، وَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ الْإِنْسَانُ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيُبْطِنَ مَا يُنَاقِضُ ذَلِكَ كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ، وَهَذَا هُوَ النِّفَاقُ الَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمِّ أَهْلِهِ وَتَكْفِيرِهِمْ، وَأَخْبَرَ أَنَّ أَهْلَهُ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ. وَالثَّانِي: النِّفَاقُ الْأَصْغَرُ، وَهُوَ نِفَاقُ الْعَمَلِ، وَهُوَ أَنْ يُظْهِرَ الْإِنْسَانُ عَلَانِيَةً صَالِحَةً، وَيُبْطِنَ مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ. وَأُصُولُ هَذَا النِّفَاقِ تَرْجِعُ إِلَى الْخِصَالِ الْمَذْكُورَةِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ"[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين – رحمه الله تعالى-:" وبعض الناس . والعياذ بالله . مبتلى بهذا المرض، فلا يستأنس ولا ينشرح صدره إلا بالكذب، يكذب دائما، إن حدثك بحديث إذا هو كاذب، إن جلس في المجلس جعل يفتعل الأفاعيل ليضحك بها الناس"[2].

ومهما يكن فلا يجوز الكذب على الإطلاق ، وليس من هدي السّلف ولا من دأب أهل القرون المفضّلة ، ومع أنّ هذه الخصال كفر دون كفر ولكنّها بريد إلى الكفر الأكبر وبالإصرار والتراكم والتّعوّد والإستمرار والإستحلال تضمحل إلى الهلاك والخسران والوبار وتُرديك إلى قعر جهنّم والله اعلم.

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ، إِنْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَصْحَابِهِ لَيَكْذِبُ عِنْدَهُ الْكِذْبَةَ فَلَا تَزَالُ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْدَثَ لَهُ تَوْبَةً»[1].

أخي الحبيب : إيّاك ثمّ إيّاك أن يتغيّر قلب النبيّ فيك ويكرهك ويعرض عنك ويتأذى بكذبتك **وإن قلتَ** :كيف هذا وقد مات النّبي –صلّى الله عليه وسلّم- **قلنا لك** : نعم إنّ النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم- قد فارق الحياة وانتقل إلى جوار ربّه لكنّ أعمالنا تُعرض له في الأُسبوع مرّة كما رُوي عن أنس أنّه قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن أعمال أمتي تعرض علي في كل يوم

[1] جامع العلوم والحكم (2\480).
[2] شرح رياض الصالحين (1\305).
[1] مسند إسحاق ابن راهويه (3\654) ، مسند أحمد بن حنبل (42\101)، سنن الترمذي (3\416)،السنن الكبرى للبيهقي (10\331).

جمعة، واشتد غضب الله على الزناة".[حلية الأولياء لأبي نعيم7\293].   لذا فحذار ثمّ حذار أن يُعرض أعمالك لرسول الله وأنت كذّاب.

فما أحسن أن نتعاهد ونُعلنها صريحة مُدوّية قبل أن نموت:لن نكذب ياربّ بعد اليوم بإذن الله.

وأن نتخذ شعاراً : فتوبتنا ياربّ أن لا نكذب بعد اليوم كذبة مادمنا أحياء وفينا عين تطرف.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ: وَمَا شَيْءٌ إذَا فَكَّرْتَ فِيهِ بِأَذْهَبَ لِلْمُرُوءَةِ وَالْجَمَالِ مِنْ **الْكَذِبِ** الَّذِي لاَ خَيْرَ فِيهِ وَأَبْعَدَ بِالْبَهَاءِ مِنْ الرِّجَالِ **وَالْكَذِبُ جِمَاعُ كُلِّ شَرٍّ**، وَأَصْلُ كُلِّ ذَمٍّ لِسُوءِ عَوَاقِبِهِ، وَخُبْثِ نَتَائِجِهِ؛ لِأَنَّهُ يُنْتِجُ النَّمِيمَةَ، وَالنَّمِيمَةُ تُنْتِجُ الْبَغْضَاءَ، وَالْبَغْضَاءُ تُؤَوَّلُ إلَى الْعَدَاوَةِ، وَلَيْسَ مَعَ الْعَدَاوَةِ أَمْنٌ وَلاَ رَاحَةٌ. وَلِذَلِكَ قِيلَ: مَنْ قَلَّ صِدْقُهُ قَلَّ صَدِيقُهُ.

وفي الأثر :«تَحَرَّوُا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ، فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، وَاجْتَنِبُوا الْكَذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ، فَإِنَّ فِيهِ الْهَلَكَةَ»[2].

قال الإمام الماوردي – رحمه الله تعالى-:"وقد يظن بعض الناس أن في الكذب اجتلاب النفع واستدفاء الضر فيرى أن الكذب أسلم وأغنم فرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفاقا للطمع وربما كان الكذب أبعد لما يؤمن وأقرب لما يخاف لأن القبيح لا يكون حسنا والشر لا يكون خيرا وهل يجنى من الشوك العنب ومن الكرم الحنظل"[1].

---

[2]مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (1\51)، التيسير بشرحح جامع الصغير (1\444) ، فيض القدير (3\232)..

[1]فيض القدير (3\232).

قال المناوي – رحمه الله تعالى- :"ولهذا قال بعض الحكماء: ليكن مرجعك إلى الحق ومفزعك إلى الصدق فالحق أقوى معين والصدق أفضل قرين ومحل هذا وما قبله ما إذا لم يترتب على الصدق وقوع محذور أو على الكذب مصلحة ظاهرة محققة وإلا ساغ الكذب بل قد يجب"[2].

واعلم أخي : أنّ الصدق يُنال بالدّرجات العلى من الجنّة، وبالصدق يُستحق مرافقة الأنبياء وصحبة الصالحين ، وأنّ الصَّادِقَ مُصَانٌ خَلِيلٌ محافظ مكرّم مشرّف عند الله وعند المسلمين تشتاق لصحبته النّفوس ، وَالْكَاذِبَ مُهَانٌ ذَلِيلٌ حقير سافل غير محترم وغير مبجّل عند الله وعند المسلمين تنفرّ منه القلوب ولا تحبّه.

وأُبشّر الصّادقين المؤمنين بأنّ يوماً سيأتي يُقال لهم:**[هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ]**[3].

وأُحذّر الكاذبين المتعنّتين الغالين بكذبهم أنّ يوماً ستُعرض وجوههم مسودّة ويُقادون إلى النّار وبئس المصير: **[وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ]**[4].

قال الحكماء: الخرس خير من الكذب وصدق اللسان أول السعادة.

وقال بعض البلغاء:لا سيف كالحق ولا عون كالصدق والكذب جماع كل شر[1].

أسباب الكذب

[2]فيض القدير شرح الجامع الصغير (3\232).

[3]المائدة الآية: 119.

[4]الزمر الآية :60.

[1]فيض القدير شرح الجامع الصغير(10\281).

فالمعروف لدى أهل الطبّ أن يُشخّصوا المرض إذا طرأ، ويفحصوا المريض إذا جي إليهم، ليوصفوا له أنسب دواء لهذا المرض المعالج المحوّل إلى عيادتهم أو مصتوصفهم، ونحن من جانبنا نودّ الفحص بأهمّ الأسباب التي تقف وراء الكذب وتدفع الكذّابين بالقدوم إليها رغبة منّا استئصال شأفتها ، والقضاء على بكرة أبيها ، ليسود الصدق وينعزل الكذب ويُختزل .

ثبت لدى أهل العلم بعد تتبّع واستقراء وتمعّن للأدلّة على أنّ الكذب ينتج من أربعة أسباب:

أ- للخروج من مأزق.

ب- لجلب المنفعة.

ت- لإيذاء الآخرين.

ث- للتشدّق والتطاول والتّضحيك .

وأخيراً :فاعلم أنّه لا يكون المؤمن كذّاباً بل ولا يكذب ولكنّه يزني ويجبن – عياذاً بالله – مع العلم أنّ كلّا من الكذب والزنى كبيرتان من كبائر الذّنوب لا يكفر صاحبها إن لم يستحلّ بها.

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قِيلَ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ قَالَ: «نَعَمْ» ، قِيلَ: أَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ قَالَ: «لَا»[2].

قال مَنْصُورٌ الْفَقِيهُ – رحمه الله تعالى- :

الصِّدْقُ أَوْلَى مَا بِهِ دَانَ امْرُؤٌ فَاجْعَلْهُ دِينًا
وَدَعِ النِّفَاقَ فَمَا رَأَيْتُ مُنَافِقًا إِلَّا مَهِينًا[1]

قال ابن عبد البرر–رحمه الله تعالى- : " وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَكُونُ كَذَّابًا وَالْكَذَّابُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَنْ غَلَبَ عليه الْكَذِبُ وَمِنْ شَأْنِهِ الْكَذِبُ فِي مَا أُبِيحَ لَهُ وَفِي مَا لَمْ يُبَحْ وَهُوَ أَكْثَرُ مِنَ

---

[2] مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (1\54)، الإستذكار لابن عبد البر (8\575)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا الهروي القاري (7\3050).

[1] الإستذكار لابن عبد البر (8\575).

الْكَاذِبِ لِأَنَّ الْكَاذِبَ يَكُونُ لِمَرَّةٍ وَاحِدَةٍ وَالْكَذَّابُ لَا يَكُونُ إِلَّا لِلْمُبَالَغَةِ وَالتَّكْرَارِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ صِفَةُ الْمُؤْمِنِ .
وَأَمَّا قَوْلُهُ إِنَّ الْمُؤْمِنَ قَدْ يَكُونُ بَخِيلًا وَقَدْ يَكُونُ جَبَانًا فَهَذَا مَعْلُومٌ بِالْمُشَاهَدَةِ مَعْرُوفٌ بِالْأَخْبَارِ وَالْمُعَايَنَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ الْبُخْلُ وَلَا الْجُبْنُ مِنْ صِفَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا الْجِلَّةِ مِنَ الْفُضَلَاءِ لِأَنَّ الْكَرَمَ وَالسَّخَاءَ مِنْ رَفِيعِ الْخِصَالِ وَكَذَلِكَ النَّجْدَةُ وَالشَّجَاعَةُ وَقُوَّةُ النَّفْسِ على المدافعة إذا كان ذلك فِي الْحَقِّ أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا جَبَانًا"[2].

أنواع الصّدق

أ- صدق النّية .

ب- صدق اللّسان.

ت- صدق العمل.

أركان الصّدق

1. الإيمان
2. التّقوى

---

[2] المصدر السابق.

أحبّتي المجاهدون : عليكم بالصّدق وإن كانت مُرّة ، أُصدقوا مع الله ومع المسلمين ومع إخوانكم المجاهدين ومع الرّعيّة والرّعاة،وتذكّروا أنّ عاقبة الكذب هلاك وخسران ، وأنّها من علامات المنافقين وليست من سمات أهل الإيمان ناهيك أن تكون من علامات أهل الجهاد الذين يحملون نفوسهم على أكتافهم يعرضونها صباح مساء علّاهم أن يُسافروا إلى جواررِبّهم، أستغرب أن يكذب المجاهد متعمّداً إليها بدون حاجة ضرورية ماسّة ملحّة لا تتحقّق إلا بها .

أما لا تستحيون عندما تكذبون ؟ أنسيتم أنّكم مسلمون مؤمنون – إن شاء الله – مجاهدون ؟

أيُعقل أن يكذب ويتعمّد إلى الكذب وليّ من أولياء الله؟!

أمّا علمتم أنّ الله لا يُحبّ الكذّابين، وأنّ رسوله يُبغض ويتغيّر قلبه إذا حدّث أحدنا حديثَ كِذْبٍ، أنسيتم أنّ الملائكة تتأذى بما يتأذى به بنو البشر، أما بلغكم أنّها تبتعد عن العبد إذا أكذب.

أُصدقني بالله عليك:أتحبّ أن تُحشر غداً مع الكذابين الذين يقودهم **إبليس وأبو جهل وفرعون**

أم تحبّ أن تُكتب اسمك عندالله **كذاباً**!!وتلقى الله **كذّاباً** !! وأُوتيت كتابك بشمالك !!

إن لم تحبّ هذا وذاك كُفّ عن الكذب لأنّها تُهديك إلى الفجور ، والفجور يهديك إلى النّار، والنّار مأوى الكفرة والكذابين.

أتمنى منك أن لاتكذب بعد اليوم كذبة متعمّداً إليها بدون ضرورة توجبها مهما كلّفتك من تكلفة، واستغرقت بك من الوقت .

أما يكفيك أن يكون الله معك ، وأن يكون رسوله معك ، وأن تكون قدوة لمن بعدك.

لاتكذب أخي الكريم لأنها من الأخلاق الرّذيلة وأنّ صاحبها لصٌّ يسرق العقل والدّين.

لاتكذب أخي المجاهد لأنّها من علامات أهل النّفاق والفجور.

موعدنا الصّدق لنتبو غداً في مقعد صدق عند ملك مقتدر.

واعلم أنّ الصِّدْق وَالْكَذِب يَدْخُلاَنِ الاخْبَارَ الْمَاضِيَةَ مما نعني فلا تُحدّث ما لا أساس له ولا صحّة،كَمَا أَنَّ الْوَفَاءَ وَالْخُلْفَ يَدْخُلاَنِ الْمَوَاعِيدَ الْمُسْتَقْبَلَةَ ونعني فلا تتعهد بمالا تستطيع إيفاءه .

تذكّر قول الله جلّ في علاه ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾[1].

الحالات التي يُرخّص فيها التعمّد إلى الكذب

أ– في الحرب .

ب– في الإصلاح بين المتخاصمين المتشاحنين.

ت– في حديثك لزوجتك وحديثها إليك.

عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كُلُّ كَذِبٍ مَكْتُوبٌ كَذِبٌ لَا مَحَالَةَ إِلَّا الْكَذِبَ فِي ثَلَاثٍ: الْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ خُدْعَةٌ، وَكَذِبُ الرَّجُلِ فِيمَا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا، وَكَذِبُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ "[1].

قال ابن بطال–رحمه الله تعالى– :" فسألت بعض شيوخى عن معنى هذا الحديث، فقال لى: إن الكذب الذى أباحه –صلى الله عليه وسلم– فى الحرب هى المعاريض التى لا يفهم منها التصريح بالتأمين؛ لأن من السنة المجتمع عليها أن من أمن كافرا فقد حقن دمه، ولهذا قال عمر بن

---

[1]التوبة:119.

[1]البخاري في "صحيحه" (3\183) ، مسلم في "صحيحه" (4\2011)،أبي داود في "سننه" (4\281) ، ابن ابي الدّنيا في "الصمت وآداب اللسان" (1\246).

الخطاب:"يتبع أحدكم العلج حتى إذا اشتد فى الجبل قال له: **مترس،** ثم قتله، والله لا أوتى بأحد فعل ذلك إلا قتلته".

وقال المهلب: موضع الكذب من هذا الحديث قول محمد بن مسلمة:"قد عنانا وسألنا الصدقة؛ لأن هذا الكلام يحتمل أن يتأول منه أن اتباعهم له إنما هو للدنيا على نية كعب ابن الأشرف، وليس هو بكذب محض بل هو **تورية** ومن معاريض الكلام؛ لأنه ورى له عن الحق الذى اتبعوه له فى الآخرة، وذكر العناء الذى يصيبهم فى الدنيا والنصب، أما الكذب الحقيقى فهو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو به، وليس فى قول ابن مسلمة اخبار عن الشيء على خلاف ما هو به، وإنما هو تحريف لظاهر اللفظ، وهو موافق لباطن المعنى. ولا يجوز الكذب الحقيقى فى شيء من الدين أصلا"[2].

قال الإمام النووي –رحمه الله تعالى- :"هَذَا الْحَدِيثُ مُبَيِّنٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فِي الْبَابِ قَبْلَهُ وَمَعْنَاهُ:لَيْسَ الْكَذَّابُ الْمَذْمُومُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ بَلْ هَذَا مُحْسِنٌ قوله (قال بن شهاب ولم أسمع يرخص في شئ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ كَذِبٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ) الْحَرْبُ وَالْإِصْلَاحُ بَيْنَ النَّاسِ وَحَدِيثُ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ وَحَدِيثُ الْمَرْأَةِ زَوْجَهَا) قَالَ الْقَاضِي لَا خِلَافَ فِي جَوَازِ الْكَذِبِ فِي هَذِهِ الصُّوَرِ وَاخْتَلَفُوا فِي المراد بالكذب المباح فيها ماهو فَقَالَتْ طَائِفَةٌ هُوَ عَلَى إِطْلَاقِهِ وَأَجَازُوا قَوْلَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ لِلْمَصْلَحَةِ وَقَالُوا الْكَذِبُ الْمَذْمُومُ مَا فِيهِ مَضَرَّةٌ وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**بَلْ فعله كبيرهم**) (**وإني سقيم**) وَقَوْلُهُ (**إِنَّهَا أُخْتِي**) وَقَوْلُ مُنَادِي يُوسُفَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**) قَالُوا وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ لَوْ قَصَدَ ظَالِمٌ قَتْلَ رَجُلٍ هُوَ عِنْدَهُ مُخْتَفٍ وَجَبَ عَلَيْهِ الْكَذِبُ فِي أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ أَيْنَ هُوَ وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمُ الطَّبَرِيُّ لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي شئ أَصْلًا قَالُوا وَمَا جَاءَ مِنَ الْإِبَاحَةِ فِي هَذَا الْمُرَادُ بِهِ التَّوْرِيَةُ وَاسْتِعْمَالُ الْمَعَارِيضِ لَا صَرِيحُ الْكَذِبِ مِثْلَ أَنْ يَعِدَ زَوْجَتَهُ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْهَا وَيَكْسُوهَا كَذَا وَيَنْوِي إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ وَحَاصِلُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِكَلِمَاتٍ مُحْتَمَلَةٍ يَفْهَمُ الْمُخَاطَبُ مِنْهَا مَا يُطَيِّبُ قَلْبَهُ وَإِذَا سَعَى فِي الْإِصْلَاحِ نَقَلَ عَنْ هَؤُلَاءِ إِلَى هَؤُلَاءِ كَلَامًا جَمِيلًا وَمِنْ

---

[2] شرح صحيح البخاري لابن بطال (**5\188**).

هَؤُلَاءِ إِلَى هَؤُلَاءِ كَذَلِكَ وَوَرَّى وَكَذَا فِي الْحَرْبِ بِأَنْ يَقُولَ لِعَدُوِّهِ مَاتَ إِمَامُكُمُ الْأَعْظَمُ وَيَنْوِي إِمَامَهُمْ فِي الْأَزْمَانِ الْمَاضِيَةِ أَوْ غَدًا يَأْتِينَا مَدَدٌ أَيْ طَعَامٌ وَنَحْوُهُ هَذَا مِنَ الْمَعَارِيضِ الْمُبَاحَةِ فَكُلُّ هذا جائز وتأولوا قصة ابراهيم ويوسف وماجاء مِنْ هَذَا عَلَى الْمَعَارِيضِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَأَمَّا كَذِبُهُ لِزَوْجَتِهِ وَكَذِبُهَا لَهُ فَالْمُرَادُ بِهِ فِي إِظْهَارِ الْوُدِّ وَالْوَعْدِ بِمَا لَا يَلْزَمُ وَنَحْوُ ذَلِكَ فَأَمَّا الْمُخَادَعَةُ فِي مَنْعِ مَا عَلَيْهِ أو عليها أو أخذ ماليس لَهُ أَوْ لَهَا فَهُوَ حَرَامٌ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ والله اعلم"[1].

قال ابن حجر العسقلاني – رحمه الله تعالى- :"قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُرَادُ هُنَا أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْخَيْرِ وَيَسْكُتُ عَمَّا عَلِمَهُ مِنَ الشَّرِّ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذِبًا لِأَنَّ الْكَذِبَ الْإِخْبَارُ بِالشَّيْءِ عَلَى خِلَافِ مَا هُوَ بِهِ وَهَذَا سَاكِتٌ وَلَا يُنْسَبُ لِسَاكِتٍ قَوْلٌ وَلَا حُجَّةَ فِيهِ لِمَنْ قَالَ يُشْتَرَطُ فِي الْكَذِبِ الْقَصْدُ إِلَيْهِ لِأَنَّ هَذَا سَاكِتٌ.

قَالَ الطَّبَرِيُّ-رحمه الله تعالى-: ذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى جَوَازِ الْكَذِبِ لِقَصْدِ الْإِصْلَاحِ وَقَالُوا إِنَّ الثَّلَاثَ الْمَذْكُورَةَ كَالْمِثَالِ وَقَالُوا الْكَذِبُ الْمَذْمُومُ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا فِيهِ مَضَرَّةٌ أَوْ مَا لَيْسَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ وَقَالَ آخَرُونَ لَا يَجُوزُ الْكَذِبُ فِي شَيْءٍ مُطْلَقًا وَحَمَلُوا الْكَذِبَ الْمُرَادَ هُنَا عَلَى التَّوْرِيَةِ وَالتَّعْرِيضِ كَمَنْ يَقُولُ لِلظَّالِمِ دَعَوْتُ لَكَ أَمْسِ وَهُوَ يُرِيدُ قَوْلَهُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَيَعِدُ امْرَأَتَهُ بِعَطِيَّةِ شَيْءٍ وَيُرِيدُ إِنْ قَدَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ وَأَنْ يُظْهِرَ مِنْ نَفْسِهِ قُوَّةً قُلْتُ وَبِالْأَوَّلِ جَزَمَ الْخَطَّابِيُّ وَغَيْرُهُ وَبِالثَّانِي جَزَمَ الْمُهَلَّبُ وَالْأَصِيلِيُّ وَغَيْرُهُمَا وَسَيَأْتِي فِي بَابِ الْكَذِبِ فِي الْحَرْبِ فِي أَوَاخِرِ الْجِهَادِ مَزِيدٌ لِهَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَذِبِ فِي حَقِّ الْمَرْأَةِ وَالرَّجُلِ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا لَا يُسْقِطُ حَقًّا عَلَيْهِ أَوْ عَلَيْهَا أَوْ أَخْذُ مَا لَيْسَ لَهُ أَوْ لَهَا وَكَذَا فِي الْحَرْبِ فِي غَيْرِ التَّأْمِينِ وَاتَّفَقُوا عَلَى جَوَازِ الْكَذِبِ عِنْدَ الِاضْطِرَارِ كَمَا لَوْ قَصَدَ ظَالِمٌ قَتْلَ رَجُلٍ وَهُوَ مُخْتَفٍ عِنْدَهُ فَلَهُ أَنْ يَنْفِيَ كَوْنَهُ عِنْدَهُ وَيَحْلِفَ على ذَلِك وَلَا يَأْثَم وَالله أعلم"[1].

فرُوِيَ عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-أنه قال:"أَمَا فِي الْمَعَارِيضِ مَا يُغْنِي الرَّجُلَ عَنِ الْكَذِبِ"[2].

---

[1] المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج (16\157).

[1] فتح الباري لابن حجر (5\299).

[2] شعب الإيمان للبيهقي (6\445)، شرح السنة للبغوي (13\156).

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: " الْمَعَارِيضُ أَنْ يُرِيدَ الرَّجُلُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِالْكَلَامِ الَّذِي إِنْ صَرَّحَ بِهِ كَانَ كَذِبًا , فَيُعَارِضَهُ بِكَلَامٍ آخَرَ يُوَافِقُ ذَلِكَ الْكَلَامَ فِي اللَّفْظِ , وَيُخَالِفُهُ فِي الْمَعْنَى , فَيَتَوَهَّمَ السَّامِعُ أَنَّهُ أَرَادَ ذَلِكَ , قَالَ الشَّيْخُ: " وَهَذَا إِنَّمَا يَجُوزُ فِيمَا يَرُدُّ بِهِ ضَرَرًا , وَلَا يَرْجِعُ بِالضَّرَرِ عَلَى غَيْرِهِ , وَأَمَّا فِيمَا يَضُرُّ غَيْرَهُ فَلَا[3].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:"ما يسرني بمعاريض الكلام حمر النعم"[4].

ودعى أبو هريرة رضى الله عنه إلى طعام فقال: "إنى صائم ثم رأوه يأكل. فقالوا: ألم تقل: إنى صائم. فقال: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "صِيامَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صِيَامُ الدَّهرِ"[5].

وذكر الأعمش عن إبراهيم أنه قال له رجل:إن فلاناً أمرنى أن آتى مكان كذا وكذا وأنا لا أقدر على ذلك المكان، فكيف الحيلة؟ فقال له:"قل والله ما أبصر إلا ما سددنى غيرى، يعنى إلا ما أبصرك ربك"[1].

وكان حماد رحمه الله تعالى:إذا جاء من لا يريد الاجتماع به وضع يده على ضرسه ثم قال: "ضرسي ضرسي"[2].

وسُئِل أحمد عن المروزي وهو عنده ولم يرد أن يخرج إلى السائل فوضع أحمد أصبعه في كفه وقال:"ليس المروزي هاهنا وماذا يصنع المروزي هاهنا"[3].

ثم ذكر رحمه الله تعالى أن الحيل ثلاثة أنواع:

1. نوع قربة وطاعة وهو من أفضل الأعمال عند الله تعالى.

---

[3] السنن الكبرى للبيهقي (10\335).

[4] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1\381).

[5] المصدر السابق.

[1] المصدر السّابق.

[2] إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (1\383).

[3] المصدر السابق.

2. ونوع جائز مباح لا حرج على فاعله ولا على تاركه، وترجح فعله على تركه أو عكس ذلك تابع لمصلحته.
3. ونوع هو محرم ومخادعة الله تعالى ورسله متضمن لاسقاط ما أوجبه وابطال ما شرعه، وتحليل ما حرّمه، وانكار السلف والأئمة وأهل الحديث إنما هو لهذا النوع.

وقال محمد بن الحسن عن عمر بن ذر عن الشعبي:"من حلف على يمين لا يستثنى، فالبر والإثم فيها على علمه. قلت: ما تقول فى الحيل؟ قال: لا بأس بالحيل فيما يحل ويجوز، وإنما الحيل شئ يتخلص به الرجل من الحرام، ويخرج به إلى الحلال. فما كان من هذا ونحوه، فلا بأس به، وإنما نكره من ذلك أن يحتال الرجل فى حق لرجل حتى يبطله، أو يحتال فى باطل حتى يموهه، أو يحتال فى شئ حتى يدخل فيه شبهة، وأما ما كان على السبيل الذى قلنا فلا بأس بذلك"[1].

وأحضر الثورى إلى مجلس المهدى فأراد أن يقوم فمنع، فحلف بالله أنه يعود، فترك نعله وخرج ثم رجع فلبسها ولم يعد، فقال المهدى: ألم يحلف أنه يعود؟ فقالوا: إنه عاد فأخذ نعله"[2].

وما احسن الكلام أن يُختم بقول صاحب المقام المحمود – النبي المكرّم- صلّى الله عليه وسلّم-:"لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُجْعَلَ كِتَابُ اللَّهِ عَارًا، وَيَكُونَ الْإِسْلامُ غَرِيبًا، وَحَتَّى تَبْدُوَ الشَّحْنَاءُ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَيَنْقُصَ عُمْرُ الْبَشَرِ،

---

(1) "إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان " لابن القيم الجوزية (**1\383**).

(2) المصدر السابق.

وَتُنْتَقَصَ السُّنُونُ وَالثَّمَرَاتُ، وَيُؤْتَمَنَ التُّهَمَاءُ وَيُتَّهَمَ الأُمَنَاءُ، وَيُصَدَّقَ **الْكَاذِبُ**، وَيُكَذَّبَ **الصَّادِقُ**، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ "، قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟، قَالَ: " الْقَتْلُ وَحَتَّى تُبْنَى الْغُرَفُ فَتَطَاوَلُ، وَحَتَّى تَحْزَنَ ذَوَاتُ الأَوْلادِ، وَتَفْرَحَ الْعَوَاقِرُ، وَيَظْهَرَ الْبَغْيُ، وَالْحَسَدُ، وَالشُّحُّ، وَيَهْلِكَ النَّاسُ، وَيَكْثُرَ **الْكَذِبُ**، وَيَقِلَّ **الصِّدْقُ**، وَحَتَّى تَخْتَلِفَ الأُمُورُ بَيْنَ النَّاسِ، وَيُتَّبَعَ الْهَوَى، وَيُقْضَى بِالظَّنِّ، وَيَكْثُرَ الْمَطَرُ، وَيَقِلَّ الثَّمَرُ، وَيَغِيضَ الْعِلْمُ غَيْضًا، وَيَفِيضَ الْجَهْلُ فَيْضًا، وَحَتَّى يَكُونَ الْوَلَدُ غَيْظًا، وَالشِّتَاءُ قَيْظًا، وَحَتَّى يُجْهَرَ بِالْفَحْشَاءِ، وَتُزْوَى الأَرْضُ زَيًّا، وَيَقُومَ الْخُطَبَاءُ **بِالْكَذِبِ**، فَيَجْعَلُونَ حَقِّي لِشِرَارِ أُمَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِذَلِكَ، وَرَضِيَ بِهِ، لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ "[3].

واعلم أخي الحبيب: على أنّ الكذب عمل مرذول، وصفة ذميمة؛ فهو خصلة من خصال النفاق، وشعبة من شعب الكفر، وهو سبب لنزع الثقة من الكاذب، والنظر إليه بعين الخيانة، وهو سبب لدخول النار، وحرمان الجنة.

وما شيء إذا فكرت فيه بأذهب للمروءة والجمال
من الكذب الذي لا خير فيه وأبعد بالبهاء من الرجال

و عَنْ سَمُرَةَ ابْنِ جُنْدَبٍ–رضي الله عنه–قَالَ: " كَانَ النَّبِيُّ –صلّى الله عليه وسلّم– إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟، قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: مَاشَاءَاللَّهُ، فَسَأَلَنَا يَوْمًا، فَقَالَ: هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟، قُلْنَا: لَا، قَالَ: لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ، قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا: عَنْ مُوسَى، إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ

[3]"العقوبات"لابن أبي الدنيا (1\395)،"تاريخ دمشق" لابن عساكر (21\274)،"سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد" (10\168).

َيَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَاهَذَا؟،قَالَا: انْطَلِقْ ..." وفي آخر الحديث يقول النبي –صلّى الله عليه وسلّم –:" قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّارَأَيْتُ، قَالَا: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[1].

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الصِّدْقُ مُنْجِيك وَإِنْ خِفْته، وَالْكَذِبُ مُرْدِيك وَإِنْ أَمِنْته.

وَقَالَ الْجَاحِظُ: الصِّدْقُ وَالْوَفَاءُ تَوْأَمَانِ، وَالصَّبْرُ وَالْحِلْمُ تَوْأَمَانِ فِيهِنَّ تَمَامُ كُلِّ دِينٍ، وَصَلاَحُ كُلِّ دُنْيَا، وَأَضْدَادُهُنَّ سَبَبُ كُلِّ فُرْقَةٍ وَأَصْلُ كُلِّ فَسَادٍ.

وَقَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ: لاَ تَتَهَاوَنْ بِإِرْسَالِ الْكِذْبَةِ مِنْ الْهَزْلِ فَإِنَّهَا تُسْرِعُ إِلَى إِبْطَالِ الْحَقِّ.

وَقَدْ قَالَ الْحُكَمَاءُ: مَنْ اسْتَحْلَى رَضَاعَ الْكَذِبِ عَسِرَ فِطَامُهُ[1].

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: لاَ يَلْزَمُ الْكَذَّاب شَيْءٌ الا غَلَبَ عَلَيْهِ.

الأمارات التي يُكشف بها الكاذب

فَمِنْهَا: أَنَّك إذَا لَقَّنْتَهُ الْحَدِيثَ تَلَقَّنَهُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ مَا لَقَّنْته وَبَيْنَ مَا أَوْرَدَهُ فَرْقٌ عِنْدَهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّك إذَا شَكَّكْتَهُ فِيهِ تَشَكَّكَ حَتَّى يَكَادَ يَرْجِعُ فِيهِ، وَلَوْلاَك مَا تَخَالَجَهُ الشَّكُّ فِيهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّك إذَا رَدَدْت عَلَيْهِ قَوْلَهُ حُصِرَ وَارْتَبَكَ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ نُصْرَةُ الْمُحْتَجِّينَ، وَلاَ بُرْهَانُ الصَّادِقِينَ. وَلِذَلِكَ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: الْكَذَّابُ كَالسَّرَابِ.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه(**2\100**).

[1] هذه الحكم أوردها الماوردي في "أدب الدنيا والدين " (**1\289**).

وَمِنْهَا: مَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ مِنْ رِيبَةِ الْكَذَّابِينَ وَيَنُمُّ عَلَيْهِ مِنْ ذِلَّةِ الْمُتَوَهِّمِينَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ أُمُورٌ لاَ يُمْكِنُ الانْسَانُ دَفْعَهَا عَنْ نَفْسِهِ؛ لِمَا فِي الطَّبْعِ مِنْ آثَارِهَا.

وَلِذَلِكَ قَالَ الْحُكَمَاءُ: الْعَيْنَانِ أَنَمُّ مِنْ اللِّسَانِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: الْوُجُوهُ مَرَايَا تُرِيك أَسْرَارَ الْبَرَايَا.

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ: تُرِيكَ أَعْيُنُهُمْ مَا فِي صُدُورِهِمْ إنَّ الْعُيُونَ يُؤَدِّي سِرَّهَا النَّظَرُ وَإِذَا اتَّسَمَ بِالْكَذِبِ نُسِبَتْ إلَيْهِ شَوَارِدُ الْكَذِبِ الْمَجْهُولَةُ، وَأُضِيفَتْ إلَى أَكَاذِيبِهِ زِيَادَاتٌ مُفْتَعَلَةٌ حَتَّى يَصِيرَ الْكَاذِبُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ، فَيَجْمَعُ بَيْنَ مَعَرَّةِ الْكَذِبِ مِنْهُ وَمَضَرَّةِ الْكَذِبِ عَلَيْهِ.

إذَا عُرِفَ الْكَذَّابُ بِالْكَذِبِ لَمْ يَكَدْ يُصَدَّقُ فِي شَيْءٍ وَإِنْ كَانَ صَادِقَا

وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ–رحمه الله تعالى–:"الْكَلاَمُ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يُصَرَّحَ فِيهِ بِالْكَذِبِ"[1].

وقيل : لو تميّزت الأشياء لكان الكذب مع الجُبن، والصِّدق مع الشَّجاعة، والراحة مع اليأس، والتّعب مع الطمع، والحرمان مع الحرص، والذُّلّ مع الدَّيْن[2].

ورُوي عن ابن عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه – أنّه قال:"إن اصدق الحديث كتاب الله عز وجل وأوثق العرى كلمة التقوى وخير الملل ملة إبراهيم واحسن السنن سنة محمد صلى الله عليه وسلم وخير الهدى الأنبياء واشرف الحديث ذكر الله وخير القصص القرآن وخير الامور عواقبها وشر الأمور محدثاتها وما قل وكفى خير مما كثر والهى ونفس تنجيها خير من إمارة لا تحصيها وشر المعذرة حين يحضر الموت وشر الندامة يوم القيامة وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى وخير الغنى غنى

[1] هذه الأقوال أوردها الماوردي في كتابه" أدب الدنيا والدين " (1\289).
[2] أخلاق الوزيرين لأبو حيان التوحيدي (1\77).

النفس وخير الزاد التقوى وخير ما القي في القلب اليقين والريب من الكفر وشر العمى عمى القلب والخمر جماع الاثم والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبة من الجنون والنوح من علم الجاهلية ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبرا ولا يذكر الله الاهجرا واعظم الخطايا الكذب وسباب المسلم فسوق وقتله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ ياجره الله ومن يغفر الله له ومن يصبر على الزرية يعقبه الله وشر المكاسب كسب الربا وشر المآكل أكل مال اليتيم والسعيد من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن أمه وإنما يكفي أحدهم ما قنعت به نفسه وإنما يصير إلى أربعة اذرع والأمر إلى آخرهم وملاك العمل خواتمه وشر الروايا روايا الكذب"[3].

الفصل الخامس:الصبر عند النقم والشكر عند النعم

الصبر لغة :هو المنع والحبس ، وشرعاً فهو حبس النفس عن الجزع ، وحبس اللسان عن التشكى، وحبس الجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب، ونحوهما .

تعريف الصبر اصطلاحاً :هو خلق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل ،وهو قوة من قوى النفس التى بها صلاح شأنها وقوام أمرها [1].

وقال ذو النون المصرى–رحمه الله تعالى-: "هو التباعد عن المخالفات ، والسكون عند تجرع غُصص البلية، وإظهار الغنى مع الحلول الفقر بساحات المعيشة "[2].

وسئل الجنيد –رحمه الله تعالى- عن الصبر فقال : " تجرع المرارة من غير تعبس "[3] .

---

[3]"صفة الصفوة" لابن الجوزي (1\155).

[1]عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم الجوزية (1\16).

[2]دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (1\145).

[3]عدة الصابرين وخيرة الشاكرين لابن القيم الجوزية (1\16).

وقيل :" الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الأدب " .

وقيل :" هو الغنى فى البلوى بلا ظهور شكوى " .

وقال على بن أبي طالب –رضى الله عنه–: "الصبر مطية لا تكبوا"[4].

وقال عمرو بن عثمان المكي–رحمه الله تعالى–:"الصبر هو الثبات مع الله وتلقى بلائه بالرحب والدعة"[5].

قال ابن القيم الجوزية –رحمه الله تعالى– :"ومعنى هذا أنه يتلقى البلاء وبصدر واسع لا يتعلق بالضيق والسخط والشكوى"[1].

وقال الخواص "الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسنة".

وقال رويم :"الصبر ترك الشكوى فسره يلازمه" .

وقال غيره :"الصبر هو الاستعانة بالله". وقال أبو على "الصبر كاسمه".

وقال أبو محمد الجريري–رحمه الله تعالى–: "الصبر أن لا يفرق بين النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما"[2].

وقيل فى ذلك :وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكى الرحيم إلى الذى لايرحمُ **والشكوى نوعان**:شكوى إلى الله عز وجل وهذه لا تنافى الصبر ، كقول يعقوب – عليه السلام – : ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ** ﴾.[يوسف:86].

---

[4]المصدر السابق .

[5]المصدر السابق.

[1]عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (**1\16**).

[2]هذا القول وما قبله أو ردهم الإمام ابن القيم الجوزية في "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين "(**1\16**).

قال أبو جعفر الطبري – رحمه الله تعالى- :" يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: قَالَ يَعْقُوبُ لِلْقَائِلِينَ لَهُ مِنْ وَلَدِهِ[**تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ**][يوسف: 85] : " لَسْتُ إِلَيْكُمْ أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي، وَإِنَّمَا أَشْكُو ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ. وَيَعْنِي بِقَوْلِهِ:{**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي**} مَا أَشْكُوَ هَمِّي {**وَحُزْنِي**} إِلَّا {**إِلَى اللَّهِ**} [يوسف:86]. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ"[3].

روي عن نَضْرُ بْنُ عَرَبِيٍّ أنّه قَالَ: " بَلَغَنِي أَنَّ يَعْقُوبَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا طَالَ حُزْنُهُ عَلَى يُوسُفَ ذَهَبَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ وَهُوَ كَظِيمٌ جَعَلَ الْعُوَّادُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَيَقُولُ شَيْخٌ كَبِيرٌ، قَدْ ذَهَبَ بَصَرِي فَأَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ يَا يَعْقُوبُ شَكَوْتَنِي إِلَى عُوَّادِكَ؟ قَالَ: أَيْ رَبِّ هَذَا ذَنْبٌ عَمِلْتُهُ، لَا أَعُودُ إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ بَعْدُ يَقُولُ:[**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**][يوسف: 86] "[1].

والنوع الثاني :شكوى الممتحن المبتلى بلسان الحال أوالمقال، فهذه لاتجامع الصبر بل تضاده وتبطله ، وساحة العافية أوسع وأوفر للعبد من ساحة الصبر لعدم معرفتة ما سيكون حاله بعد وقوع البلاء والإمتحان عليه ، ولا يناقض هذا قوله–صلّى الله عليه وسلّم-:«وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»[2]، فإن هذا بعد نزول البلاء وبعد وقعها على العبد ففي هذه الحالة فساحة الصبر أوسع الساحات ، أما قبل نزوله فساحة العافية أوسع والله اعلم.

والنفس لها قوتان:قوة الإقدام وقوة الإحجام أو قوة الرّغبة وقوة المنعة أو قوة الإرادة وعدمها، **فحقيقة الصبر**: أن يجعل العبد قوة الإقدام مصروفة ومحفّزة ومدفعة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام ممسكة وممنعة وموقفة عما يضره ويؤذيه، والناس متفرّقون متفوتون في هذا فمنهم من يصبر على

---

[3]جامع البيان في تأويل القرآن (**13\305**).

[1]تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (**7\3186**).

[2]صحيح البخاري (**2\122**)،الآداب للبيهقي (**1\306**)،الآمالي الخميسية للشجري (**2\265**).

قيام الليل ومشقة الصيام ، ولا يصبر عن نظرة محرمة ، ومنهم من يصبر عن النظر والإلتفات إلى الصور وسائر الرّذيلة، ولا يصبر على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد وقيام الليل ، ومنهم من يصبر على الأقدار ويصبر على الجهاد ولا يستطيع الصبر عن بعض المحرّمات أمثال الملهيات واللهو وعلى مقدّمتهم – عياذاً بالله – النّساء الفاتنات.

قال ابن بطال- رحمه الله تعالى- :" أرفع الصابرين منزلة عند الله من صبر عن محارم الله، وصبر على العمل بطاعة الله، ومن فعل ذلك فهو من خالص عباد الله وصفوته ، ألا ترى قوله – صلى الله عليه وسلم-: (لن تعطوا عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر) "[1].

وسئل الحسن عن قوله –صلى الله عليه وسلم- حين سئل عن الإيمان فقال: (الصبر والسماح) فقيل للحسن: ما الصبر والسماح؟ فقال: السماح بفرائض الله، والصبر عن محارم الله[2].

أقسام الصبر باعتبار متعلقه

أ- الصبر على أوامر الله (المأمورات).

ب- الصبر عن المحارم والمعاصي(المنهيات).

ت- الصبر على الأقدار والأذى المحتوم المقدّر من عند الواحد القهار(المقادير والأقضية).

يقول ابن القيم –رحمه الله تعالى-:" الصبر باعتبار متعلقه ثلاثة أقسام: صبر على الأوامر والطاعات حتى يؤديها ، وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها ، وصبر على الأقدار والاقضية حتى لا يتسخطها ، وهذه الأنواع الثلاثة هي التى قال فيها الشيخ عبد القادر في فتوح الغيب: "لا بد للعبد من أمر يفعله ونهي يجتنبه وقدر يصبر عليه"[3].

---

[1] شرح صحيح البخاري لابن بطال (10\183).

[2] المصدر السابق.

[3] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (1\28).

والصبر أيضاً نوعان :اختيارى واضطرارى ، والاختيارى أكمل من الاضطرارى ، فإن الاضطرارى يشترك فيه الناس ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختيارى ولذلك كان صبر يوسف – عليه السلام – عن مطاوعة امرأة العزيز أعظم من صبره على ما ناله من إخوته لما ألقوه فى الجب لكونه مجبراً على الصبر شاء أم أبى والله اعلم.

فالإنسان لا يستغنى عن الصبر فى حال من الأحوال لأنه يتقلب ويحيي بين أمر يجب عليه امتثاله وائتماره وتنفيذه ، ونهى يجب عليه اجتنابه وتركه والإبتعاد عنه، وقدر يجرى عليه اتفاقا شاء أم أبى بل رغم أنفه ،ونعمة يجب شكر المنعم بها عليه –إن كان عارفاً بما أُنعم عليه–، وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه:فالصبر لازم له إلى الممات ، ومطلوب منه إلى آخر رمق من حياته .

يقول ابن القيم الجوزية –رحمه الله تعالى– :" الصبر ضربان: ضرب بدني وضرب نفساني وكل منهما نوعان اختياري واضطراري فهذه أربعة أقسام:
الأول: البدني الاختياري، كتعاطي الأعمال الشاقة على البدن اختيارا وإرادة.
الثاني: البدني الاضطراري كالصبر على ألم الضرب والمرض والجراحات والبرد والحر وغير ذلك.
الثالث: النفساني الاختياري كصبر النفس عن فعل ما لا يحسن فعله شرعا ولا عقلا. **الرابع**: النفساني الاضطراري كصبر النفس عن محبوبها قهرا إذا حيل بينها وبينه"[(1)].اهـ.

تعريف الشكر :

قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري–رحمه الله تعالى– في الشكر:"هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، يقال: شكرته وشكرت له وباللام أفصح"[(2)].

---

(1) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم الجوزية (1\22).
(2) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (11\9).

قال ابن القيّم – رحمه الله تعالى-:"وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان لا يكون شكورا الا بمجموعها:**أحدها** اعترافه بنعمة الله عليه **والثانى** الثناء عليه بها **والثالث** الاستعانة بها على مرضاته"[3].

وقد قرن الله سبحانه وتعالى الشكر بالإيمان لأنّه لا يشكر –غالباً وإن شكر لا يُقبل- إلا مؤمن وأخبر أنه لا غرض ولا رغبة له فى عذاب خلقه إن شكروا وآمنوابه، فقال:﴿**مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ** ﴾[1].

وأخبر سبحانه عن أهل الشكر أنّهم هم المخصوصون بمنته وفضله عليهم من بين عباده ، فقال عز وجل : ﴿**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولواْ أَهَؤُلاء مَنَّ اللّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**﴾[2].

وقسم الناس إلى شكور عارف بالنّعم وكفور جحود لا يعرف النّعم، فأبغض الأشياء إليه الكفر وأهله ، وأحب الأشياء إليه الشكر وأهله، فقال:﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾[3].

وعلّق سبحانه زيادة الفضل والمنّ والإحسان والبركات والخيرات بالشكر ، والمزيد منه لا نهاية له كما لا نهاية لشكره ، قائلا جلّ الله في علاه :﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾[4].

وأطلق جزاء الشكر اطلاقاً لا يعلمه إلا الله وحده قائلا :﴿**وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ**﴾[5] .

[3] عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم الجوزية (1\148).
[1] النساء الآية: 147.
[2] الأنعام الآية: 53.
[3] الإنسان الآية :3.
[4] إبراهيم الآية :7.
[5] آل عمران الآية :145.

ولما عرف عدو الله إبليس-**لعنه الله**- قدر مقام الشكر عند الله ، وأنه من أجلّ المقامات وأعلاها وأفضلها وأحبّها إلى الله ، عزم أن يجعل غاية سعيه قطع الناس عن شكرهم لنعم خالقهم ، فقال الله حكاية عن إبليس -عليه لعائن الله -:﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾[1].

وعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: صَلَّى حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَكَلَّفُ هَذَا؟ وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[2]
.

قال المهلب-رحمه الله تعالى-:"وفيه من الفقه: أن الرجل الصالح يلزمه من التقوى والخشية ما يلزم المذنب التائب، لا يُؤَمِّن الصالح صلاحه، ولا يوئس المذنب ذنبه ويقنطه، بل الكل خائف راجٍ، وكذلك أراد تعالى أن يكون عباده واقفين تحت الخوف والرجاء اللذين ساس بهما خلقه سياسة حكمه لا انفكاك منها"[3].

قَالَ الْقَاضِي-رحمه الله تعالى-:" الشُّكْرُ مَعْرِفَةُ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِ وَالتَّحَدُّثُ بِهِ وَسُمِّيَتِ الْمُجَازَاةُ عَلَى فِعْلِ الْجَمِيلِ شُكْرًا لِأَنَّهَا تَتَضَمَّنُ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَشُكْرُ الْعَبْدِ اللَّهَ تَعَالَى اعْتِرَافُهُ بِنِعَمِهِ وَثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ وَتَمَامُ مُوَاظَبَتِهِ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَمَّا شُكْرُ اللَّهِ تَعَالَى"[4].

وقال ابن حجر – رحمه الله تعالى- :" أَنَّ الشُّكْرَ وَاجِبٌ وَتَرْكَ الْوَاجِبِ حَرَامٌ وَفِي شَغْلِ النَّفْسِ بِفِعْلِ الْوَاجِبِ صَبْرٌ عَلَى فِعْلِ الْحَرَامِ وَالْحَاصِلُ أَنَّ الشُّكْرَ يَتَضَمَّنُ الصَّبْرَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالصَّبْرَ عَنِ

---

[1]الأعراف الآية: 17.

[2]رواه البخاري في صحيحه (8\99)، ومسلم في صحيحه (4\2171)،والترمذي في جامعه (1\534) وأحمد في مسنده (30\138) ، وعبد الرزاق في مصنّفه (3\50) وابن أبي شيبة في مصنّفه (2\222).

[3]شرح صحيح البخاري لابن بطال (1\73).

[4]المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(17\162).

الْمَعْصِيَةِ قَالَ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ الصَّبْرُ يَسْتَلْزِمُ الشُّكْرَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ وَبِالْعَكْسِ فَمَتَى ذَهَبَ أَحَدُهُمَا ذَهَبَ الْآخَرُ فَمَنْ كَانَ فِي نِعْمَةٍ فَفَرْضُهُ الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ أَمَّا الشُّكْرُ فَوَاضِحٌ وَأَمَّا الصَّبْرُ فَعَنِ الْمَعْصِيَةِ وَمَنْ كَانَ فِي بَلِيَّةٍ فَفَرْضُهُ الصَّبْرُ وَالشُّكْرُ أَمَّا الصَّبْرُ فَوَاضِحٌ وَأَمَّا الشُّكْرُ فَالْقِيَامُ بِحَقِّ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي تِلْكَ الْبَلِيَّةِ فَإِنَّ لِلَّهِ عَلَى الْعَبْدِ عُبُودِيَّةً فِي الْبَلَاءِ كَمَا لَهُ عَلَيْهِ عُبُودِيَّةً فِي النَّعْمَاءِ"[1].

يُرْوَى، عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ هَمْدَانَ: "إِنَّ النِّعْمَةَ مَوْصُولَةٌ بِالشُّكْرِ، وَالشُّكْرُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَزِيدِ، وَهُمَا مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ، وَلَنْ يَنْقَطِعَ الْمَزِيدُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَنْقَطِعَ الشُّكْرُ مِنَ الْعَبْدِ "[2].

ويروى عن فُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ-رحمه الله تعالى-، أنهَ قُالُ: "كَانَ يُقَالُ: مَنْ عَرَفَ نِعْمَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِقَلْبِهِ، وَحَمِدَهُ بِلِسَانِهِ، لَمْ يَسْتَتِمَّ ذَلِكَ حَتَّى يَرَى الزِّيَادَةَ. يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:[**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**][إبراهيم: 7] "[3].

روي عَنِ الْحَسَنِ أنّه قَالَ: بَلَغَنِي " أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى قَوْمٍ سَأَلَهُمُ الشُّكْرَ، فَإِذَا شَكَرُوهُ كَانَ قَادِرًا على أَنْ يَزِيدَهُمْ، فَإِذَا كَفَرُوهُ كَانَ قَادِرًا على أَنْ يَقْلِبَ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِمْ عَذَابًا"[4].
وأمر الله نبيّه محمداً –صلى الله عليه وسلّم- أن يحدّث نعمه التي أنعمها عليه قائلا – جلّ الله في علاه-:﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[الضحى:11].

ورُوِي عن الفضيل –رحمه الله- أنّه قال:" وَكَانَ يُقَالُ: مِنَ شَكَرَ النِّعْمَةَ أَنْ يُحَدِّثَ بِهَا "[5].

---

[1] فتح الباري شرح صحيح البخاري (11\305).
[2] "شعب الإيمان" للبيهقي (6\296).
[3] المصدر السابق.
[4] المصدر السابق.
[5] المصدر السابق.

واعلم أنّ الله تعالى يحب ويرغب في أن يرى أثر نعمته على عبده ، فإن ذلك شكرها بلسان الحال والله اعلم.

ورُوي عن عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ –رحمه الله تعالى– أنه قال: " قَيِّدُوا نِعَمَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالشُّكْرِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ "[1].

ورُوي عن عَلِيَّ بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْغَضَائِرِيَّ–رحمه الله تعالى– ، أنه قالُ: سَمِعْتُ السَّرِيَّ، يَقُولُ: " مَنْ لَمْ يَعْلَمْ قَدْرَ النِّعَمِ سُلِبَهَا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ "[2].
ورُوي عن صعدي بْنُ أَبِي الْحَجَرِ– رحمه الله تعالى– أنه قَالَ:كُنَّا نَدْخُلُ عَلَى الْمُغِيرَةِ فَنَقُولُ كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ:"أَصْبَحْنَا مُغْرَقِينَ فِي النِّعَمِ مُوَقَّرِينَ مِنَ الشُّكْرِ يَتَحَبَّبُ إِلَيْنَا رَبُّنَا وَهُوَ عَنَّا غَنِيٌّ، وَنَتَمَقَّتُ إِلَيْهِ وَنَحْنُ إِلَيْهِ مُحْتَاجُونَ"[3].

وقال شريح –رحمه الله تعاى–:"ما أصيب عبد بمصيبة الا كان لله عليه فيها ثلاث نعم ألا تكون كانت في دينه وألا تكون أعظم مما كانت وأنها لا بد كائنه فقد كانت"[4].

وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز –رحمه الله تعالى– ما قلب عمر بن عبد العزيز بصره إلى نعمة أنعم الله بها عليه الا قال:اللهم انى أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفرا وأن أكفرها بعد أن عرفتها وأن أنساها ولا أثنى بها"[5].
وقال يونس بن عبيد–رحمه الله تعالى–: "قال رجل لأبى تميمة كيف أصبحت قال أصبحت بين

---

[1]"شعب الإيمان "للبيهقي (6\296).
[2]المصدر السابق.
[3]حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (6\248)، الشكر لابن أبي الدنيا (1\20) ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (1\124).
[4]عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين (1\123).
[5]المصدر السابق.

نعمتين لا أدرى أيتهما أفضل ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يعيرنى بها أحد ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملى"[6].

رُوي عن أَبَا رَجَاءٍ مُحَمَّدَ بْنَ حَمْدَوَيْهِ-رحمه الله تعالى- أنه قال : سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ-رحمه الله تعالى- يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا مُعَاذٍ النَّحْوِيَّ، يَقُولُ:[**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**][الأعراف: 182]، قَالَ: " أُظْهِرُ لَهُمُ النِّعْمَةَ، وَأُنْسِيهُمُ الشُّكْرَ "[1].

وَسُئِلَ ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ عَنِ الاسْتِدْرَاجِ؟ فَقَالَ: مَكْرُ اللَّهِ بِالْعِبَادِ الْمُضَيِّعِينَ، وَقِيلَ: هُوَ الأَخْذُ عَلَى غِرَّةٍ، وَقَالَ سُفْيَانُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:[**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ**][الْأَعْرَاف: 182] قَالَ: يُسْبِغُ عَلَيْهِمُ النِّعَمَ، وَيَمْنَعُهُمُ الشُّكْرَ "، وَقَالَ غَيْرُهُ: كُلَّمَا أَحْدَثُوا ذَنْبًا أُحْدِثَتْ لَهُمْ نِعْمَةٌ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:[**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ**][الْأَنْعَام: 44][2].

روى مُحَمَّدُ بْنُ هَانِئٍ-رحمه الله تعالى- عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِأَبِي حَازِمٍ: مَا شُكْرُ الْعَيْنَيْنِ يَا أَبَا حَازِمٍ؟ قَالَ: " إِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا خَيْرًا أَعْلَنْتَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ بِهِمَا شَرًّا سَتَرْتَهُ ". قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْأُذُنَيْنِ؟ قَالَ: " إِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا خَيْرًا وَعَيْتَهُ، وَإِنْ سَمِعْتَ بِهِمَا شَرًّا أَخْفَيْتَهُ ". قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْيَدَيْنِ؟ قَالَ: " لَا تَأْخُذْ بِهِمَا مَا لَيْسَ لَهُمَا، وَلَا تَمْنَعْ حَقًّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ فِيهِمَا ". قَالَ: فَمَا شُكْرُ الْبَطْنِ؟ قَالَ: " أَنْ يَكُونَ أَسْفَلَهُ طَعَامًا، وَأَعْلَاهُ عِلْمًا ". قَالَ: مَا شُكْرُ الْفَرْجِ؟ قَالَ: " كَمَا قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:[**إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**][المؤمنون: 7] ". قَالَ: فَمَا شُكْرُ الرِّجْلَيْنِ؟ قَالَ: " إِنْ رَأَيْتَ حَيًّا غَبَطْتَهُ اسْتَعْمَلْتَ بِهِمَا عَمَلَهُ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَيِّتًا مَقَتَّهُ كَفَفْتَهُمَا عَنْ عَمَلِهِ، وَأَنْتَ شَاكِرٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

---

[6] المصدر السّابق.

[1] "شعب الإيمان " للبيهقي (**6\298**).

[2] "شرح السنّة " للبغوي (**14\354**) ، "عدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين " لابن القيم الجوزية (**1\132**).

فَأَمَّا مَنْ شَكَرَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَشْكُرْ بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ كِسَاءٌ فَأَخَذَ بِطَرَفِهِ وَلَمْ يَلْبَسْهُ، فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذلكَ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالثَّلْجِ وَالْمَطَرِ "[3].

رُوي عن عُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرِّفَاعِيُّ -رحمه الله تعالى- أنّه قَالَ: " دَخَلْتُ أَنَا وَبَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيُّ عَلَى أَبِي تَمِيمَةَ الْهَجَنِيِّ نَعُودُهُ، فَقَالَ لَهُ بَكْرٌ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا أَبَا تَمِيمَةَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ بَيْنَ نِعْمَتَيْنِ أَمِيلُ بَيْنَهُمَا، لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا أَفْضَلُ، ذَنْبٌ سَتَرَهُ اللَّهُ فَأَصْبَحْتُ لَا أَخَافُ أَنْ يُعَيِّرَنِي بِهِ أَحَدٌ، وَمَوَدَّةٌ جَعَلَهَا اللَّهُ لِي فِي صُدُورِ النَّاسِ لَمْ أَبْلُغْهَا "[1].

أخي المجاهد: لئن صبرت على الجهاد مع مافيه من ازهاق النّفوس وإراقة الدّماء، وفقد الأحبّة، وبتر الأهل والأموال، وهجران الزوجة وشهوات الدّنيا،وغليظ العيش ، ذاك الجهاد المحفوف بالمخاوف في كلّ حين ، ليسيرٌ عليك-إن شاء الله- أن تصبر على تعلّم العلم ،والتحلّي بالأخلاق الرّفيعة ، والإتّصاف بالحلل الجميلة ،وسوف تُهتدى وتُعين لك على الصّبر -بإذن الله- لأنّ الله قال في حقّ أمثالك : ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2].

قال أكثم بن صيفي: من صبر ظفر.

وقال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- : الصبر مطية لا تكبوا، والقناعة سيف لا ينبوا.

وقال أزدشير: الصبر مفتاح الدرك.وقال بعض الحكماء: بالصبر على مواقع المكروه تدرك الحظوة.

---

[3]البيهقي في "شعب الإيمان" (6\311) ، ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (22\65) ، ابن أبي الدنيا "الشكر" (1\44).

[1]الشكر لابن أبي الدّنيا (1\44).

[2]العنكبوت الآية: 69.

وقال ابن المقفع في كتاب التتمة: الصبر صبران :"فاللئام أصبر أجساماً والكرام أصبر نفوساً، وليس الصبر الممدوح صاحبه أن يكون قوي الجسد على الكد والعمل فإن هذا من صفات الحمير، ولكن أن يكون للنفس غلوباً وللأمور محتملاً، ولجاشه عند الحفظة مرتبطاً"[3].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلّى الله عليه وسلّم– :"مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ بِهِ، فَمَنْ أَثْنَى بِهِ فَقَدْ شَكَرَهُ وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ "[1].

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما:"أَفْضَلُ الْعُدَّةِ الصَّبْرُ عَلَى الشِّدَّةِ"[2].

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مِنْ خَيْرِ خِلاَلِك الصَّبْرُ عَلَى اخْتِلاَلِك.

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحِكَمِ: مَنْ أَحَبَّ الْبَقَاءَ فَلْيُعِدَّ لِلْمَصَائِبِ قَلْبًا صَبُورًا.

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ: مَنْ صَبَرَ نَالَ الْمُنَى، وَمَنْ شَكَرَ حَصَّنَ النُّعْمَى.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ–رحمه الله تعالى–:"إنَّ الامُورَ إذَا سُدَّتْ مَطَالِبُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَتَجَا لاَ تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إذَا اسْتَعَنْتَ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجَا أَخْلِقْ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا"[3].

ثمَ لابُدَ لطالب العِلْمِ من الجدّ، والمواظبة والملازَمة، فإنه مَنْ طَلَبَ شيئا وَجَدَّ وَجَدَ، وبقَدْرِ ما تتعنّى تنالُ ما تَتَمنَى، وبالصّبر يتوقّعُ الفرَجُ، ومَنْ يُدْمِنْ قرْعَ البَابَ يَلجْ، واطلب تجد، وإيّاك والضجر والكسل، فإنّهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة، وإنْ ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤدّ حقّا.

---

[3]"أدب الدنيا والدين " للماوردي (1\287).

[1]رواه أبو داود في سننه برقم 4813.

[2]"أدب الدنيا والدين " للماوردي (1\267).

[3]هذه الأقوال أوردها الماوردي في كتابه" أدب الدنيا والدين "(1\287).

إصْبِرْ على مضض الإدْلاج بالسَحَرِ　　لا تَيْئَسَنَ ولا تُحْزِنْكَ مَطْلَبَة
إنّي رأيتُ وفي الأيّام تجربَة　　وقلَ مَنْ جَدَ في أمْرٍ يُطالبُه
للصَبْرِ عاقبةً محمودَةَ الأثَرِ　　واسْتَصْحَبَ الصَبْرَ إلا فازَ بالظَفَرِ

الفصل السادس:فليكن الحلم والأناة والرفق والتواضع وعدم العجب والكبر سماتك الأساسية أيُها المجاهد النّبيل.

الحلم:وَهُوَ بِكَسْرِ الْحَاءِ تَأْخِيرُ مُكَافَأَةِ الظَّالِمِ فِي الْأَصْلِ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي الْعَفْوِ عَنِ الذَّنْبِ[1].

الأناة:بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ عَلَى وَزْنِ نَوَاةٍ وَهِيَ اسْمٌ مِنَ التَّأَنِّي، فَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْوَقَارُ وَالتَّثَبُّتُ، وَقِيلَ: الثَّبَاتُ فِي الطَّاعَاتِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ جَوْدَةُ نَظَرِهِ فِي الْعَوَاقِبِ[2].

الرفق:لين الْجَانِب ولَطافة الفِعل، وصاحبُه رَفِيق[3].

التواضع:استعظام ذَوي الْفَضَائِل من دونه فِي المَال والجاه، وَقيل: الرِّضَا بِمَنْزِلَة دون مَا يسْتَحقّهُ فَضله ومنزلته[4].

العجب:العجب بالشئ شدة السرور به حتى لا يعادله شئ عند صاحبه تقول هو معجب بفلانة إذا كان شديد السرور بها، وهو معجب بنفسه إذا كان مسرورا بخصالها[5].

قَالَ الله تَعَالَى:﴿**وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:134.].

---

(1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (**8\3162**).
(2) المصدر السابق.
(3) تهذيب اللغة (**9\100**).
(4) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم(**1\203**).
(5) معجم الفروق اللغوية (**1\352**).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ–رضي الله عنه– فِي قوله عَزَّ وَجَلَّ:[**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**]أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى إِنْفَاذِهِ، مَلأَهُ اللهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا "[6].

قال محمد الطاهر بن عاشور– رحمه الله تعالى–:"**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**: وَكَظْمُ الْغَيْظِ إِمْسَاكُهُ وَإِخْفَاؤُهُ حَتَّى لَا يَظْهَرَ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ كَظَمَ الْقِرْبَةَ إِذَا مَلَأَهَا وَأَمْسَكَ فَمَهَا. قَالَ الْمُبَرِّدُ: فَهُوَ تَمْثِيلٌ لِلْإِمْسَاكِ مَعَ الِامْتِلَاءِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ أَقْوَى الْقُوَى تَأْثِيرًا عَلَى النَّفْسِ الْقُوَّةُ الْغَاضِبَةُ فَتَشْتَهِي إِظْهَارَ آثَارِ الْغَضَبِ، فَإِذَا اسْتَطَاعَ إِمْسَاكَ مَظَاهِرِهَا، مَعَ الِامْتِلَاءِ مِنْهَا، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى عَزِيمَةٍ رَاسِخَةٍ فِي النَّفْسِ، وَقَهْرِ الْإِرَادَةِ لِلشَّهْوَةِ، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ قُوَى الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ.

الْعَفْوُ عَنِ النّاس فِيمَا أساؤوا بِهِ إِلَيْهِمْ. وَهِيَ تَكْمِلَةٌ لِصِفَةِ كَظْمِ الْغَيْظِ بِمَنْزِلَةِ الِاحْتِرَاسِ لِأَنَّ كَظْمَ الْغَيْظِ قَدْ تَعْتَرِضُهُ نَدَامَةٌ فَيَسْتَعْدِي عَلَى مَنْ غَاظَهُ بِالْحَقِّ، فَلَمَّا وُصِفُوا بِالْعَفْوِ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْهِمْ دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ كَظْمَ الْغَيْظِ وَصْفٌ مُتَأَصِّلٌ فِيهِمْ، مُسْتَمِرٌّ مَعَهُمْ. وَإِذَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِي نَفْسٍ سَهُلَ مَا دُونَهَا لَدَيْهَا.

وَبِجِمَاعِهَا يَجْتَمِعُ **كَمَالُ الْإِحْسَانِ** وَلِذَلِكَ ذَيَّلَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَهَا بِقَوْلِهِ: وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ لِأَنَّهُ دَالٌّ عَلَى تَقْدِيرِ أَنَّهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ مُحْسِنُونَ وَاللَّهُ يحبّ الْمُحْسِنِينَ"[1].

وقال الله تعالى :﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأعْرِضْ عَنِ الجَاهِلينَ**﴾ [الأعراف: 199..].

عن مجاهد–رحمه الله تعالى– في قوله: (**خذ العفو**) قال:"من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس"[2].

وعَنْ وَهْبِ بْنِ كَيْسَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:[**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**]وَاللَّهِ مَا أَمَرَ بِهِمَا إِلا أَنْ تُؤْخَذَ لَا مِنْ أَخْلاقِ النَّاسِ، وَاللَّهِ لآخُذَنَّهَا مِنْهُمْ مَا صَحِبْتُهُمْ"[3].

---

[6]تفسير القرآن لابن المنذر (1\383).

[1]تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد في تفسير القرآن المجيد (4\90).

[2]جامع البيان في تأويل القرآن (13\326).

[3]تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (5\1637).

قال القرطبي —رحمه الله تعالى— :" فِيهِ ثَلَاثُ مَسَائِلَ: **الْأُولَى**- هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ، تَضَمَّنَتْ قَوَاعِدَ الشَّرِيعَةِ فِي الْمَأْمُورَاتِ وَالْمَنْهِيَّاتِ. فَقَوْلُهُ: (**خُذِ الْعَفْوَ**) دَخَلَ فِيهِ صِلَةُ الْقَاطِعِينَ، وَالْعَفْوُ عَنِ الْمُذْنِبِينَ، وَالرِّفْقُ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُطِيعِينَ وَدَخَلَ فِي قَوْلِهِ: (**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**) صِلَةُ الْأَرْحَامِ، وَتَقْوَى اللَّهِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَغَضُّ الْأَبْصَارِ، وَالِاسْتِعْدَادُ لِدَارِ الْقَرَارِ. وَفِي قَوْلِهِ (**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ**) الْحَضُّ عَلَى التَّعَلُّقِ بِالْعِلْمِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ أَهْلِ الظُّلْمِ، وَالتَّنَزُّهُ عَنْ مُنَازَعَةِ السُّفَهَاءِ، وَمُسَاوَاةِ الْجَهَلَةِ الْأَغْبِيَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ وَالْأَفْعَالِ الرَّشِيدَةِ. قُلْتُ: هَذِهِ الْخِصَالُ تَحْتَاجُ إِلَى بَسْطٍ، وَقَدْ جَمَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ. قَالَ جَابِرُ بْنُ سُلَيْمٍ أَبُو جُرَيٍّ: رَكِبْتُ قَعُودِي ثُمَّ أَتَيْتُ إِلَى مَكَّةَ فَطَلَبْتُ رَسُولَ اللَّهِ —صلّى الله عليه وسلّم— صلى الله عليه وسلم ، فأنخت قعودي بباب المسجد ، فدلوني على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو جالس عليه برد من صوف فيه طرائق حمر ؛ فقلت : السلام عليك يا رسول الله. فقال:"وعليك السلام".فقلت:إنا معشر أهل البادية ، قوم فينا الجفاء ؛ فعلمني كلمات ينفعني الله بها. قال : "آدن" ثلاثا ، فدنوت فقال:"أعد علي" فأعدت عليه فقال:"اتق الله ولا تحقرن من المعروف شيئا وأن تلقى أخاك بوجه منبسط وأن تفرغ من دلوك في إناء المستسقي وإن امرؤ سبك بما لا يعلم منك فلا تسبه بما تعلم فيه فإن الله جاعل لك أجرا وعليه وزرا ولا تسبن شيئا مما خولك الله تعالى". قال أبو جري : فوالذي نفسي بيده ، ما سببت بعده شاة ولا بعيرا. أخرجه أبو بكر البزار في مسنده بمعناه "[1].

بعض الأحاديث النبوية الشريفة حول الأخلاق الحسنة

(1)- عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قَالَ : قَالَ رسولُ الله–صلّى الله عليه وسلّم– لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ (إنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ : الحِلْمُ وَالأنَاةُ)[2].

[1] الجامع لأحكام القرآن (7\344).

[2] صحيح مسلم (1\48) ، البخاري "الأدب المفرد" (1\206) ، الترمذي في "جامعه" (3\434) ، أبي داود في "سننه" (4\357) ، احمد في "مسنده" (17\264).

قال الإمام النووي- رحمه الله تعالى-:"وَأَمَّا الحلم فهو العقل وأما الأناة فهي التثبت وَتَرْكُ الْعَجَلَةِ وَهِيَ مَقْصُورَةٌ وَسَبَبُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ لَهُ مَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْوَفْدِ أَنَّهُمْ لَمَّا وَصَلُوا الْمَدِينَةَ بَادَرُوا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَقَامَ الْأَشَجُّ عِنْدَ رِحَالِهِمْ فَجَمَعَهَا وَعَقَلَ نَاقَتَهُ وَلَبِسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَى النبى صلى الله عليه وسلم فقر به النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَانِبِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُبَايِعُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَقَوْمِكُمْ فَقَالَ الْقَوْمُ نَعَمْ فَقَالَ الْأَشَجُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَمْ تُزَاوِلِ الرَّجُلَ عَنْ شَيْءٍ أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ دِينِهِ نُبَايِعُكَ عَلَى أَنْفُسِنَا وَنُرْسِلُ مَنْ يَدْعُوهُمْ فَمَنِ اتَّبَعَنَا كَانَ مِنَّا وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ قَالَ صَدَقْتَ إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ الْحَدِيثَ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فَالْأَنَاةُ تَرَبُّصُهُ حَتَّى نَظَرَ فِي مَصَالِحِهِ وَلَمْ يَعْجَلْ وَالْحِلْمُ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ الدَّالُّ عَلَى صِحَّةِ عَقْلِهِ وَجَوْدَةِ نَظَرِهِ لِلْعَوَاقِبِ"[(1)].

وقال الشيخ محمد بن عثيمين –رحمه الله تعالى :" أما الحلم: فهو أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب، إذا حصل غضب وهو قادر فإنه يحلم، ولا يعاقب، ولا يعاجل بالعقوبة.

وأما الأناة فهو التأني في الأمور، وعدم العجلة، وألا يأخذ الإنسان الأمور بظاهرها فيتعجل، ويحكم على الشيء قبل أن يتأنى فيه وينظر"[(2)].

(2)- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قَالَ رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم–(إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)[(3)].

قال الإمام النووي–رحمه الله تعالى– :"وَفِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فَضْلُ الرِّفْقِ وَالْحَثُّ عَلَى التَّخَلُّقِ وَذَمُّ الْعُنْفِ وَالرِّفْقُ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ وَمَعْنَى يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ أَيْ يُثِيبُ عَلَيْهِ مالا يُثِيبُ عَلَى غَيْرِهِ وَقَالَ الْقَاضِي مَعْنَاهُ يَتَأَتَّى به من الاغراض ويسهل من المطالب مالا يَتَأَتَّى بِغَيْرِهِ"[(4)].

---

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (1\189).

(2) شرح رياض الصالحين (3\573).

(3) البخاري في "صحيحه" (9\16)،مسلم في "صحيحه" (4\303)،ابي داود في "سننه" (4\254)،ابن أبي شيبة في "مصنّفه "(5\209).

(4) المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج(16\145).

قال الإمام ابن حجر العسقلاني- رحمخ الله تعالى-:" وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَتَأَتَّى مَعَهُ مِنَ الْأُمُورِ مَا لَا يَتَأَتَّى مَعَ ضِدِّهِ وَقِيلَ الْمُرَادُ يُثِيبُ عَلَيْهِ مَا لَا يُثِيبُ عَلَى غَيْرِهِ"[5].

وقال الشيخ محمد ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-:" فإن قيل: معاملة الناس بالحزم والقوة والجفاء أحياناً هل ينافي هذا الحديث أو لا؟

فالجواب:لا ينافيه، لأنه لكل مقام مقال، فإذا كانت المصلحة في الغلظة والشدة فعليك بها، وإذا كان الأمر بالعكس فعليك باللين والرفق، وإذا دار الأمر بين اللين والرفق أو الشدة والعنف فعليك باللين والرفق، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ اللهَ رَفِيْقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ"[1].

(3)- وعن أَبي هريرة-رضي الله عنه- قَالَ : بَال أعْرَابيٌّ في المسجدِ ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ ، فَقَالَ النبيُّ-صلّى الله عليه وسلّم-:(دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ ، أَوْ ذَنُوباً مِنْ مَاءٍ ، فَإنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)[2].

السَّجْلُ : بفتح السين المهملة وإسكان الجيم : وَهِيَ الدَّلو الْمُمْتَلِئَةُ مَاءً ، وَكَذلِكَ الذَّنُوبُ .

قال الشيخ محمد ابن عثيمين- رحمه الله تعالى- :" ففي هذا الحديث فوائد كثيرة:

منها: العذر بالجهل، وأن الإنسان الجاهل لا يعامل كما يعامل العالم؛ لأن العالم معاند، والجاهل متطلع للعلم فيعذر بجهله، ولهذا عذره النبي صلى الله عليه وسلم ورفق به.

ومنها: أن الشرع يقتضي دفع أعلى المفسدتين بأدناهما، يعني إذا كان هناك مفسدتان ولابد من ارتكاب أحدهما؛ فإن يرتكب الأسهل.

فهنا أمامنا مفسدتان: **الأولى**: استمرار هذا الأعرابي في بوله، وهذه مفسدة. **والثانية**: إقامته من بوله، وهذه مفسدة أيضاً، لكن هذه أكبر؛ لأن هذه يترتب عليها: **أولاً**: الضرر على هذا البائل؛ لأن البائل إذا منع البول المتهيىء للخروج ففي ذلك ضرر، فربما تتأثر مجاري البول ومسالك البول.

---

[5]فتح الباري شرح صحيح البخاري (**10\449**).

[1]شرح الأربعين النووية للعثيمين (**1\199**).

[2]رواه البخاري في "صحيحه" (**1\54**)، وعبدالرزاق في "مصنفه "(**1\423**)، وأحمد في "مسنده " (**13\209**)،النسائي في "سننه" (**1\48**).

ثانياً: أنه إذا قام فإما أن يقطع رافعاً ثوبه؛ لئلا تصيبه قطرات البول، وحينئذٍ تكون القطرات منتشرة في المكان، وربما تأتي على أفخاذه ويبقى مكشوف العورة أمام الناس وفي المسجد، وإما أن يدلي ثوبه، وحينئذٍ يتلوث الثوب ويتلوث البدن وهذه أيضاً مفسدة.

فلهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم هذا الرجل يبول حتى انتهى، ثم أمر بأن يصب عليه ذنوباً من ماء.

وعلى هذا فيكون لدينا قاعدة: إذا اجتمعت مفسدتان لابد من ارتكاب إحداهما، فإنه يرتكب الأسهل والأخف، دفعاً للأعلى، كما إنه إذا اجتمعت مصالح ولا يمكن فعل جميعها، فإنه يؤخذ بالأعلى فالأعلى، ففي المصالح يقدم الأعلى، وفي المفاسد يقدم الأسهل والأدنى"[1].

(4)- و عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ»[2].

قال الإمام ابن دقيق العيد –رحمه الله تعالى-:"وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد كثيرة ومعنى إحسان القتل: أن يجتهد في ذلك ولا يقصد التعذيب. وإحسان الذبح في البهائم: أن يرفق بالبهيمة ولا يصرعها بغتة ولا يجرها من موضع إلى موضع وأن يوجهها إلى القبلة ويسمي ويحمد ويقطع الحلقوم والودجين ويتركها إلى أن تبرد، والاعتراف لله تعالى بالمنة والشكر على نعمه فإنه سبحانه سخر لنا ما لو شاء لسلطه علينا وأباح لنا ما لو شاء لحرمه علينا"[3].

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي–رحمه الله تعالى-:" وَظَاهِرُهُ يَقْتَضِي أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى كُلِّ مَخْلُوقٍ الْإِحْسَانَ، فَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ أَوْ كُلُّ مَخْلُوقٍ هُوَ الْمَكْتُوبَ عَلَيْهِ، وَالْمَكْتُوبُ هُوَ الْإِحْسَانُ. وَقِيلَ:

---

[1] شرح رياض الصالحين (3\579).

[2] مسلم في "صحيحه" (3\1548)،ابي داود في "سننه" (3\100)،الترمذي في "سننه" (3\75)، احمد في "مسنده" (10\106)،عبدالرزاق في "مصنفه"(4\492).

[3] شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة (1\72) .

إنَّ الْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ، أَوْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، أَوْ كَتَبَ الْإِحْسَانَ فِي الْوِلَايَةِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .

وَهَذَا الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ تَارَةً يَكُونُ لِلْوُجُوبِ كَالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ وَالْأَرْحَامِ بِمِقْدَارِ مَا يَحْصُلُ بِهِ الْبِرُّ وَالصِّلَةُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الضَّيْفِ بِقَدْرِ مَا يَحْصُلُ بِهِ قِرَاهُ عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ. وَتَارَةً يَكُونُ لِلنَّدْبِ كَصَدَقَةِ التَّطَوُّعِ وَنَحْوِهَا. وَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ الْإِحْسَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْأَعْمَالِ، لَكِنَّ إِحْسَانَ كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ، فَالْإِحْسَانُ فِي الْإِتْيَانِ بِالْوَاجِبَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ: الْإِتْيَانُ بِهَا عَلَى وَجْهِ كَمَالِ وَاجِبَاتِهَا، فَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْإِحْسَانِ فِيهَا وَاجِبٌ، وَأَمَّا الْإِحْسَانُ فِيهَا بِإِكْمَالِ مُسْتَحَبَّاتِهَا فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ"[1].

وقال الإمام المباركفوري–رحمه الله تعالى–:" أَيْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ أَوْ عَلَى بِمَعْنَى فِي أَيْ أَمَرَكُمْ بِالْإِحْسَانِ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْعُمُومُ الشَّامِلُ لِلْإِنْسَانِ حَيًّا وَمَيِّتًا"[2].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي– رحمه الله تعالى–:" الإحسان نوعان: إحسان في عبادة الخالق، بأن يعبد الله كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإن الله يراه. وهو الجد في القيام بحقوق الله على وجه النصح، والتكميل لها. وإحسان في حقوق الخلق.

وأصل الإحسان الواجب، أن تقوم بحقوقهم الواجبة، كالقيام ببر الوالدين، وصلة الأرحام، والإنصاف في جميع المعاملات، بإعطاء جميع ما عليك من الحقوق، كما أنك تأخذ مالك وافياً.

ويدخل في ذلك الإحسان إلى جميع نوع الإنسان، والإحسان إلى البهائم، حتى في الحالة التي تزهق فيها نفوسها، ولهذا قال صلّى الله عليه وسلم: "فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة". فمن استحق القتل لموجب قتل يضرب عنقه بالسيف، من دون تغرير ولا تمثيل"[3].

---

[1] جامع العلوم والحكم (1\378).

[2] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (4\553).

[3] بهجة قلوب الأسرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار (1\141).

(5)- وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ، أَوْ مَنْ تُحَرَّمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ»[1].

أخي المجاهد:كن حليماً ، ليّنا ، سهلا ، بشوشاً، طليق الوجه، دائم الإبتسامة، رفيقاً لإخوانه ، يطلب لهفواتهم المعاذير ، يُحبّب الآخرين بالإسلام والجهاد بما يظهر عليه من الفضائل والأخلاق، أفعاله تُنادي الآخرين وتُرشدهم قبل قوله ، عزيزاً على الكافرين ، رحيماً بالمؤمنين ، مجاهداً في سبيل الله ومحرّضاً على القتال.

أما علمت –عزيزي الغالي–:أنّ نبيّنا محمداً–صلّى الله عليه وسلّم– كان من علامات نبوّته أنّه (**يسبق حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلا يَزِدْهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ إلا حِلْمًا**)[2] ،وأنّ لنا في رسول الله أسوة حسنة .

الحلم شيمته ولكن حينما — يعصى الإله فإنما هو ضيغم
فلا يغرنك وجه راق منظره — فالنصل فيه المنايا وهو بسام

وكن متواضعاً يُبغض الإستكبار ويكره العُجب بالنّفس ولا يتعالى عن إخوانه ، يسيرُ على درب السنّة، يمتثل بهدي النّبي وصحبه ،يتذكر حديث رَسُولِ اللَّهِ –صلّى الله عليه وسلّم–: " وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ "[3].

واعلم – عزيزي الغالي–:أنّ العبد إذا تواضع لله وأطاعه وتقاه حق تقواه يُقبل من عند الله ثم يوضع له القبول في الدّنيا فعندها يُحبّه الجميع ويوقرونه ويبجّلونه ويحترمونه ، والعكس صحيح. أما رأيت الأرض استحقت أن نضع عليها أشرف عضو من جسمنا (**الوجه**) فما استحقت إلا بعد أن تواضعت لله غاية التواضع حيث قبلت أن نمشي عليها هكذا قال العلماء والله أعلم.

---

[1] ابن أبي شيبة في "مسنده"(1\272)،الترمذي في "جامعه"(4\235)،أبو يعلى الموصلي في "مسنده " (8\467)،البغوي في "شرح السنة " (13\85).

[2] الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (4\110).

[3] مسلم في "صحيحه" (4\2001).

ولا تنس – أخي الحبيب–:أنّ الأمر يدور على هذا المنوال :" مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ دَرَجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللهِ دَرَجَةً، وَضَعَهُ اللهُ دَرَجَةً، حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ "[1].

فالذين تراهم يُكنُّ لهم الجميع التقدير والإحترام والتبجيل والهيبة هنا وهناك فلم يبلغوا هذه المزيّة إلا بالإخلاص والتواضع لله – نحسبهم كذلك – فإذا أردت أن تصبح مقبولا لدى الأحد الصّمد وثمّ لدى الأمّة – بما فيهم المجاهدون– فعليك التواضع والإخلاص، وإيّاك الإستكبار والإستهزاء والعجب والتّعالي على الآخرين وسخريتهم .

واعلم أنّك تجاه إخوانك بين ثلاثة أُمور لا رابع لها :إما أن تلقى من هو أعلم منك وأكبر، وله سابقة في العمل ،وإما أن تلقى من هو دونك من حيث العلم والسّن والسّبق والهجرة والتضحية، وإما أن تكونا متماثلين متجانسين أقرانان في السّنّ والعمل والعلم .

ويجب عليك في هذه الحالات : أن تحترم الكبير وتراه فاضلا منك وأن تستفيد منه ، لأنّه عبد الله قبل أن تُولد ، وجاهد في الله قبل أن تُجاهد ، وأن توقر الصغير الذي هو دونك من حيث العلم والسنّ مدركاً أنّه أقلّ ذنباً منك ، وأنشط منك من حيث الذّاكرة والحفظ لصغر سنّه ، ويشتاق إلى الجهاد أكثر منك باعتباره عاين الجهاد جهاراً، وذاق لذته واقعياً غير مختلط بالسّياسات المتناكرة الدّاخلية، والأحقاد الحزبية البغيضة ، أو القبلية الجاهلية المقيتة.

وأن تستفيد من هو مثلك في العلم والسنّ والسبق لعلّه يُذكّرك ما نسيته ، ويُفيد لك فهماً عميقاً دقيقاً علّه إلى الصواب أقرب من فهمك للمسألة التي عالجتموها سوياً والله أعلم.

رَوَى ابْنُ الْجَوْزِيِّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ:"كَانَ الرَّجُلُ إِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ فَوْقَهُ فِي الْعِلْمِ كَانَ يَوْمَ غَنِيمَةٍ .

وَإِذَا لَقِيَ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ دَارَسَهُ وَتَعَلَّمَ مِنْهُ ، وَإِذَا لَقِيَ مَنْ دُونَهُ **تَوَاضَعَ** لَهُ وَعَلَّمَهُ"[2].

---

[1] احمد في "مسنده" (18\250)، أبو يعلى الموصلي في "مسنده" (2\358).

[2] "صفة الصفوة "لابن الجوزي (2\401).

فالتواضع لله تعالى:ألا تغيب عن المرء وحدانيته وقدرته وأسماؤه وصفاته وجلاله وحقه في الطاعة والامتثال لأوامره ونواهيه، وألا ينسى المرء ضعفه ومحدوديته والحكمة من وجوده ومآل أمره في الدنيا والآخرة، فيورثه هذا الشعورخشوعا لله وخضوعا، واجتهادا في التعبد وحسن الخلق.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :(جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ –صلّى الله عليه وسلّم– فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ قَالَ أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا قَالَ جِبْرِيلُ : تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ قَالَ: بَلْ عَبْدًا رَسُولًا)[1].

والتواضع مع النفس:يكون بمعرفتها في إطار القدرة الإلهية وحاكمية الله تعالى وقيوميته، وما استأثر بعلمه من مآل المرء ومصيره في الدنيا والآخرة، والشعور بالعجز والضعف إلا بحبل من الله وعون.

كل ذلك يطبع تصرفات المؤمن وأعماله وعواطفه بسمات الوداعة والنبل واللين والسماحة وحسن المعاملة، ويبدوا أثره في حركاته وسكناته وطريقة جلوسه وقيامه ومشيه وكلامه ورنات صوته وخلجات جوارحه.

والتواضع للوالدين:بصفتهما أصل نشأته وأداة تربيته ورعايته ووصية ربه﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾ [الإسراء: 24].

يوجب على الابن حقوقا لابد من أدائها، ومنهجا في المعاملة يجب التزامه، من ذلك مثلا زيادة على الطاعة والإجلال والرعاية والصيانة والحنو، إظهار التواضع والخضوع لهما رحمة وشفقة واحتراما، كوقوف الابن عند دخول الأب أو الأم، والسكوت عند حديثهما لا يقاطعهما، وخفض الصوت في حضرتهما، لأن في خلاف هذا التصرف علامة تمرد وتهاون بمقامهما.

والتواضع للناس :يكون بالمعاملة الطيبة والعشرة الحسنة، وكظم الغيظ والعفو والصفح الجميل، والنصح اللين الوديع ممتثلا بالأوامر الإلهية : ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**﴾[لقمان:18].

وقوله : ﴿**وَالكَاظِمِينَ الغَيْظَ وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:134].

---

[1]احمد في "مسنده" (12\77)،أبو يعلى الموصلي في "مسنده" (10\491)،ابن حبان في "صحيحه" (14\280).

وعموماً:إن التواضع قيمة اعتقادية وأخلاقية، نتيجتها التمسك بالمبادئ والثبات على الدين، وحسن رعاية أمن الأمة ووحدتها، وهو بهذا الاعتبار عبادة في جوهره ومخبره، لذلك قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:(إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة، التواضع)[1] .

ولئن كان التواضع خصلة يؤثر بها الله تعالى أصفياءه وأولياءه، فإن الكبر لا يبتلى به إلا شرار الخلق، وهم طوائف كثيرة، منها العائل (الفقير) المستكبر، والحاكم الطاغية، والغني المتغطرس، والعا لم المتعجرف(المتكبّر).

أما الفقير المستكبر فلشعوره بمهانة الفقر وجهله بأن قيمة المرء في تقواه وعمله الصالح.

وأما الحكام والأغنياء فلجهلهم بحقيقة أنفسهم وظنهم أن إكراه الخلق على الخضوع لسطوة جاههم وماهم يكسبهم رفعة ومجدا.

أما العلماء فأسباب تكبرهم منافستهم لأرباب المال والجاه، وتعلقهم بالدنيا وجهلهم بالآخرة، وتقصيرهم في تهذيب أنفسهم.

كذلك أهل الفسق والفجور المجاهرون المصرون المباهون، لم يركسهم فيما هم فيه إلا الاستخفاف بالدين والاستهانة بقيمه ومبادئه"[2].

ملحوظة:وفي الختام نودّ أن نُقدّم فيها عدّة أحاديث نبويّة تُحذر المسلم بصفة عامّة و المجاهد بصفة خاصّة أن يتّصف بصفات المنافقين وأهل الأهواء ومنها على سبيل المثال:النّميمة ، والغيبة ، والكبر ، والعجب ونحوهما.

1. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا–صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ: " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا–صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ: " إِنَّ الرَّجُلَ يَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ صِدِّيقًا، وَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا "[1].

---

[1] التواضع والخمول لابن أبي الدنيا (1\10).

[2] الأخلاق والتزكية للحمداوي (1\113).

2. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ–صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ: " أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: " إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ "[2].

3. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ–صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ: " لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ، يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ"[3].

4.وعن إبراهيم بن الأشعث قال: سألت الفضيل عن التواضع قال:" التواضع أن تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من أجهل الناس قبلته منه"[4].

5.وعن زكريا بن أبي خالد البلدي قال: دخل بن السماك على هارون فقال: يا أمير المؤمنين والله لتواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك. فقال: ما أحسن ما قلت. فقال:يا أمير المؤمنين إن امرأ أتاه الله عز وجل جمالا في خلقه، وموضعا في حسبه، وبسط له في ذات يده، فعف في جماله وواسى في ماله، وتواضع في حسبه، كتب في ديوان الله عز وجل من خالص الله عز وجل.

قال فدعى هارون بدواة وقرطاس وكتب هذا الكلام بيده"[1].

6.ومماجاء في حديث الإسراء والمعراج أنه قال:فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ،

---

[1]مسلم في "صحيحه" (4\2012)،احمد في "مسنده" (7\227)،البيهقي في " سننه الكبرى "(10\416).
[2]مسلم في "صحيحه" (4\2001)،البزار في "مسنده " (15\70) ، النسائي في "سننه الكبرى " (10\268).
[3]مسلم في "صحيحه" (1\93)،الترمذي في "جامعه" (4\361)،البيهقي في "الآداب"(1\199).
[4]ابن ابي الدنيا في " التواضع والخمول" (1\11).
[1]"التواضع والخمول " لابن ابي الدنيا (1\12).

وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالْجَانِبِ الْأَوَّلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ الْأَوَّلُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِهِ الْمَرَّةَ الْأُولَى، قَالَ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا هَذَانِ؟

فقالا له: وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَاهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخِرَاهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ، فَيَكْذِبُ الْكَذِبَةَ تَبْلُغُ الْآفَاقَ"[2]..

7.وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا،وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ،لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ،وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا»وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ،كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ،وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[3].

8. عن عقبة بن عامر الجهني، قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "رأس التواضع ثلاثة: الابتداء بالتسليم على كل أحد، والرضى بالمجلس عن شرف المجلس، وحب العبد المساجد، وترك الرياء والسمعة في شيء من دينه"[4].

الفصل السّابع: الظلم ظلمات يوم القيامة

تعريف الظّلم: وضع الشيء فى غير موضعه المختصّ به، إمّا بنقصان أَو زيادة، وإِمّا بعدول عن وقته أَو مكانه[1].

---

[2] البخاري في "صحيحه" (9\44) ، ابن أبي شيبة في "مصنفه " (6\177) ، احمد في "مسنده " (33\288)،البيهقي في "السنن الكبرى " (7\120).
[3] مسلم في "صحيحه" (4\1986) ، احمد في "مسنده" (13\159) ، الترمذي في " جامعه " (3\389).
[4] آمالي الشجري " (2\257).
[1] "المفردات في غريب القرآن" للراغب الأصفهاني(1\537).

ظَلَم يَظْلِم ظَلْمًا – بالفتح – ومَظْلِمَة، فهو ظالم وظَلُومٌ. [وظَلَمَهُ] حقَّه وتظلَّمه إيّاه. وتظلَّم: أَحال الظلم على نفسه، ومِن فلان: شكا منه الظلم.

قال الإمام ابن حجر العسقلاني–رحمه الله تعالى–: والظلم وضع الشيء في غير موضعه الشرعي "[2].

وقال الإمام بدر الدين العيني –رحمه الله تعالى–:"الظلم : وضع الشيء في غير موضعه "[3].

والظلم يكون على ثلاثة أنواع:

الأول: ظلم بَيْن الإِنسان وبين الله تعالى، وأَعظمه الكفر، والشِّرْك، والنِّفاق، ولذلك قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾.[لقمان:13].

وقال تعالى :﴿**أَلاَ لَعْنَةُ الله عَلَى الظالمين**﴾.[هود:18].

والثاني:ظلم بيْن العبد وبين النَّاس،كما قال الله تعالى : ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ .[الشورى:42] .

والثالث:ظلم بينه وبين نفسه، كما قال تعالى: ﴿**فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ .[فاطر:32] .

وقال تعالى :﴿**وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾.[البقرة:19] .

وكلّ هذه الأَقسام فى الحقيقة ظلم للنفس واعتداء عليها لأنّ عاقبة الظلم مهما كانت فتعود في النّهاية على نفس الظّالم ؛ لهذا يُقال فإِنَّ الإِنسان أَوّل ما يهُمّ بالظلم فقد ظلم نفسه، فلهذا قال تعالى فى غير موضع:﴿**وَمَا ظَلَمَهُمُ الله ولكن كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾.[النحل:33] .

---

[2]"فتح الباري شرح صحيح البخاري " لابن حجر (**5\95**).

[3]"عمدة القاري شرح صحيح البخاري " بدر الدين العيني (**1\215**).

وقال تعالى:﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.[الأنعام:82] .

رواه أحمد والشيخان وغيرهم عن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية[**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمانَهُمْ بِظُلْمٍ**] شق ذلك على الناس فقالوا:يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح:{**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**} [سورة لقمان: 13] انما هو الشرك"[1].

وإنّ ربّي لا يظلم عباده – وحاشاه أن يظلم – ولكنّ النّاس هم الذين يظلمون نفوسهم وربّهم وفيما بينهم ، قال الله تعالى : ﴿**وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ**﴾[غافر:31] . وقال في موضع آخر: ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ [ق:29] .

وعَنْ أَنَسٍ–رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ–صلّى الله عليه وسلّم–:"أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولُ اللهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟، قَالَ: تَحْجُزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ "[2].

قال ابن بطال–رحمه الله تعالى–:" اختلف العلماء فيمن خشى على رجل القتل فقاتل دونه ، فقالت طائفة :إن قتل دونه فلا قود عليه ولا قصاص ، والحجة لهم قوله–صلى الله عليه وسلم– : (**أنصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**) قالوا : فدل عموم هذا الحديث أنه لا قود عليه إذا قاتل عن أخيه كما لا قود عليه إذا قاتل عن نفسه ، وروى نحوه عن عمر بن الخطاب . وذكر ابن الماجشون : أن رجلا هربت منه امرأته إلى أبيها فى زمن عمر بن الخطاب ، فذهب فى طلبها مع رجلين فقام أبوها إليهم بيده عمود فأخذه منه أحدهما فضربه فكسر يده ، وأخذ الزوج منه امرأته

---

[1]"تفسير مقاتل بن سليمان" (5\5).

[2]البخاري في "صحيحه" (9\22) ، البيهقي في "السنن الكبرى " (6\94) ، وصححه الألباني في "إرواء الغليل " (8\107).

فلم يقده منه عمر ، وقضى له بدية اليد . قال ابن حبيب : لم ير فيه قصاصًا ؛ لأنه كفه عن عدائه بضربه له ، وليس على جهة العمد الذى فيه القصاص ، وقياس قول أشهب يدل أنه لا قصاص فى ذلك ؛ لأنه قال فى الرجل يختفى عنده مظلوم فيحلفه السلطان الجائر الذى يريد دمه وماله أو عقوبته إن كان عنده قال : يحلف ولا حنث عليه ، كما لا حنث عليه إذا حلف عن نفسه . ذكره ابن المواز ، عن أشهب . وروى مثله عن أنس بن مالك قال : لأن أحلف تسعين يمينًا أحب إلى من أن أدل على مسلم . قاله ميمون بن مهران . وقالت طائفة : من قاتل دون غيره فقتل فعليه القود . هذا قول الكوفيين ، ويشبه مذهب ابن القاسم ؛ لأنه قال فى الرجل يختفى عنده الرجل من السلطان الجائر يخافه على نفسه ، أنه متى حلف أنه ليس عنده فهو حانث ، وإن كان مأجورًا فى إحياء نفسه ، فلما كان حانثًا فى حلفه عليه ، والحنث أيسر شأنًا من القتل دل أنه ليس له أن يقاتل دونه ، وهذا قول أصبغ قال : لا يعذر أحد إلا فى الدراءة عن نفسه ، ولا يدرأ عن ولده باليمين وهو حانث . وقاله أكثر أصحاب مالك . قالوا : وليس قوله – صلى الله عليه وسلم -: (**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**) بمبيح له قتل المتعدى على أخيه الظالم له ؛ لأن كلا الرجلين المتقاتلين أخ للذى أمره النبى –صلى الله عليه وسلم – بالنصرة ، ونصره كل واحد منهما لازم له ، وقد فسر النبى –صلى الله عليه وسلم – نصرة الظالم كيف ، فقال : تكفه عن الظلم ، ولم يأمره بقتل الظالم ولا استباحة دمه ، وإنما أراد نصره دون إراقة دمه ، هذا المفهوم من الحديث ، والله أعلم .

وقال لى بعض الناس : معنى قول البخارى :"إن قاتل دون المظلوم فلا قود عليه ولا قصاص"، هو أن يرى رجل رجلا يريد قتل آخر بغير حق ، فإن أمكنه الدفع عنه فقد توجه عليه الفرض فى نصرته ودفع الظلم عنه بكل ما يمكنه ، ولا ينوى بقتاله له إلا الدفع عن أخيه خاصة دون أن يقصد إلى قتل الظالم للمنتصر فى تلك المدافعة فهو شهيد ، كما لو دافعه عن نفسه سواء ، فإن قدر المدافع على دفع الظالم بغير قتال أو بمقاتلة لا يكون فيها تلف نفس وقتله قاصدًا لقتله فعليه القود"[1].

---

[1]"شرح صحيح البخاري "لابن بطال (8\305).

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ–صلّى الله عليه وسلّم– فِيمَا رَوَى، عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أَنَّهُ قَالَ: يَا عِبَادِي: إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا[2] .

قال الإمام القاضي عياض – رحمه الله تعالى–: معنى قوله : **(حرمت الظلم على نفسى)** : أى تقدست عنه وتعاليت ، والظلم مستحيل منه سبحانه وتعالى جده ؛ لأنه إنما يكون إذا تعديت الحدود وتجوزت المراسم ، والبارى – جلت قدرته – ليس فوقه أحد يحد له حدا أو يرسم له رسماً ، حتى يكون متجاوزا لذلك ظالما ، ولا فوقه من يستحق أن يطيعه حتى يحلل له الحلال ويحرم عليه الحرام ، ولكن تحريم الشيء يقتضى المنع منه والكف عنه ، فسمى البارى تقدسه عن الظلم"[3].

قال الإمام ابن رجب الحنبلي–رحمه الله تعالى–:" يعني : أنَّه تعالى حَرَّم الظلم على عباده ، ونهاهم أنْ يتظالموا فيما بينهم ، فحرامٌ على كلِّ عبدٍ أنْ يظلِمَ غيره ، مع أنَّ الظُّلم في نفسه محرَّم مطلقاً ، وهو نوعان :

أحدهما : ظلمُ النفسِ ، وأعظمه الشِّرْكُ ، كما قال تعالى:**[إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ]** [لقمان:13] فإنَّ المشركَ جعل المخلوقَ في منزلةِ الخالق ، فعبده وتألَّهه ، فوضع الأشياءَ في غيرِ موضعها ، وأكثر ما ذُكِرَ في القرآن مِنْ وعيد الظالمين إنَّما أُريد به المشركون ، كما قال الله – عز وجل –**[وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ]**[البقرة:254] ثمَّ يليه المعاصي على اختلاف أجناسها من كبائرَ وصغائرَ .

---

[2]مسلم في "صحيحه " (**1994\4**) ، ابن حبان في "صحيحه" (**385\2**) ، البيهقي في "السنن الكبرى " (**93\6**).

[3]"إكمال المعلم شرح صحيح مسلم " للقاضي عياض (**22\8**).

والثاني : ظلمُ العبدِ لغيره ،وهو المذكورُ في هذا الحديث ،وقد قال النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم– في خطبته في حجة الوداع : (إنَّ دماءكم وأموالَكُم وأعراضَكُم عليكُم حرامٌ ، كحرمةِ يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا) أخرجه البخاري ومسلم "[1].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ–صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ: " الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "[2] .

قال بن الجوزي–رحمه الله تعالى– :" الظلم يشتمل على معصيتين أخذ مال الغير بغير حق ومبارزة الرب بالمخالفة والمعصية فيه أشد من غيرها لانه لا يقع غالبا إلا بالضعيف الذى لا يقدر على الانتصار ، وإنما ينشأ الظلم عن ظلمة القلب ، لانه لو استنار بنور الهدى لاعتبر،فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظا لم، حيث لا يغنى عنه ظلمه شيئا"[3].

قال الإمام القاضي عياض –رحمه الله تعالى–:" قيل : ظاهره أنه ظلمات على صاحبه حتى لا يهتدى يوم القيامة سبيلا حيث يسعى نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم .

وقد تكون الظلمات هنا : الشدائد ، وبه فسروا قوله تعالى:[**قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**][الأنعام:63] أى شدائدهما . "[4].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلّى الله عليه وسلّم–:"الظُّلْمُ مَطْلُ الْغَنِيِّ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ "[1].

---

[1]"جامع العلوم والحكم " لابن رجب (6\50).

[2]البخاري في "صحيحه" (2\864)، مسلم في "صحيحه " (8\18)،البيهقي في "شعب الإيمان " (6\46) .

[3]ذكرها ابن حجر في "فتح الباري " (17\142).

[4]"إكمال المعلم شرح صحيح مسلم " للقاضي عياض (8\23).

[1]ابن ماجه في "سننه " (2\803)، أحمد في "مسنده " (13\508) البيهقي في "السنن الكبرى) (6\51) .

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى–:"ومن الظلم: مطل الغني يعني أن لا يوفي الإنسان ما عليه وهو غني به لقوله صلى الله عليه وسلم: " **مطل الغني ظُلم**" وما أكثر الذين يماطلون في حقوق الناس ، يأتي عليه صاحب الحق فيقول : يا فلان أعطني حقي فيقول : غداً ، فيأتيه من غدٍ فيقول: بعد غدٍ وهكذا، فإن هذا الظلم يكون ظلمات يوم القيامة على صاحبه"[2].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الظُّلْمِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: " ذِرَاعٌ مِنَ الْأَرْضِ يَنْتَقِصُهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ، فَلَيْسَتْ حَصَاةٌ مِنَ الْأَرْضِ أَخَذَهَا إِلَّا طُوِّقَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى قَعْرِ الْأَرْضِ، وَلَا يَعْلَمُ قَعْرَهَا إِلَّا الَّذِي خَلَقَهَا "[3].

وعَنْ مَعْرُوفِ بْنِ سُوَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ رَبَاحٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صلّى الله عليه وسلّم–:"اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ "[4].

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ:قَوْلُهُ–صلّى الله عليه وسلّم–:"اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ " أَمْرٌ بِاتِّقَاءِ دَعْوَةِ الْمَظْلُومِ، مُرَادُهُ الزَّجْرَ عَمَّا تَوَلَّدَ ذَلِكَ الدُّعَاءُ مِنْهُ، وَهُوَالظُّلْمُ، فَزَجَرَ عَنِ الشَّيْءِ بِالأَمْرِ بِمُجَانَبَةِ مَا تَوَلَّدَ مِنْهُ "[5] .

قال الإمام المناوي –رحمه الله تعالى–:" أي اجتنبوا دعوة من تظلمونه وذلك مستلزم لتجنب جميع أنواع الظلم على أبلغ وجه ، وأوجز إشارة ، وأفصح عبارة، لأنه إذا اتقى دعاء المظلوم فهو أبلغ من قوله "لا تظلم" وهذا نوع شريف من أنواع البديع يسمى تعليقا"[1].
وفي كلام الحكماءِ: المِلْك يبقى مع الكفر، ولا يبقى مع الظلم.

---

[2]"شرح رياض الصالحين " لابن عثيمين (3\27).
[3] أحمد في "مسنده " (1\396) ، الهيثمي في " مجمع الزوائد " (9\328). وفي إسناده ضعف قالها شعيب أرناؤوط في " مسند احمد " (1\192).
[4]ابن حبان في "صحيحه " (4\151) ، أبو يعلى الموصلي في "مسنده " (3\18).
[5]ابن حبان في "صحيحه " (3\160).
[1]"فيض القدير " للمناوي (5\360).

قال الشاعر:

لاتظلمنّ إِذا ما كنتَ مقتدِرًا   فالظلم آخره يأْتيك بالندمِ

نامت عيونُك والمظلوم مُنْتَبِهٌ   يدعو عليك وعينُ الله لم تَنَم

أخي المسؤل: اتّق الله فيما استرعاك الله من الأمانة ، وكن حافظاً للأمانة التي أُلقيت على كاهلك ، وإيّاك وأن تأتي غداً وأنت غاش بهم ، ظلوم لهم ، تأخذ حقك عليهم بينما تمنع لهم حقّهم عليك ، حاول أن تموت وأنت أديت الأمانة بقدر ما استطعت ، وليكن هذا الحديث على نصب عينيك دوماً وأبداً:"مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ، رَعِيَّةً يَمُوتُ، يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ "[2].

قال القاضي عياض –رحمه الله–:"معناه:قد تقدم معنى تحريم الجنة والتأويل فى مثله ، ومعناه بَيّن فى التحذير من غش المسلمن لمن قلده الله شيئاً من أمرهم ، واسترعاه عليهم ، ونصبه خليفة لمصلحتهم ، وجعله واسطة بينه وبينهم فى تدبير أمورهم فى دينهم ودنياهم .

فإذا خان فيما اؤتمن عليه ولم ينصح فيما قُلِّده واستخلف عليه إما بتضييع لتعريفهم مايلزمهم من دينهم وأخذهم به والقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذب عنها لكل مُتَصَد لإدخال داخِلَةٍ فيها ، أو تحريف لمعانيها ، أو إهمال حدودهم ، أو تضييع حقوقهم ، أو ترك حماية حوزتهم ومجاهدة عدوهم ، أو ترك سيرة العدل فيهم – فقد غشهم .

وقد نبه –صلى الله عليه وسلم – أن ذلك من كبائر الذنوب الموبقة المباعدة عن الجنة إذا دخلها السابقون والمقربون ، إن أنفذ الله عليه وعيده الموجب لعذابه بالنار ، أو إيقافه بالبرزخ "[1].

أخي الأمير:فلاتكن مستبدّاً ظالماً جائراً يفرّ الناس من شرّه ، ولاتكن ممن يُستراحون بعد موتهم ولايُبكون لهم، واعلم أنّ الموتى بين مستريح من نصب الدنيا وتعبها وآلامها، ومستراح منه تستريح منه العباد والدواب وسائر الدّنيا، فلاتكن المستراح منه الملعون بعد موته، وتذكّر أنّ لك في رسول

---

[2]رواه مسلم" في صحيحه " (1\87) ، الدارمي في "سننه " (2\324) ، الطبراني في " المعجم الكبير " (20\207).

[1]"إكمال المعلم شرح صحيح المسلم " (1\295).

الله قدوة ، وبصحابته أسوة ، أما سمعت أن بعضهم اهتز عرش الرّحمن لموتهم ، فاسئل نفسك :ما بال الأُمّة في شأن من اهتزّ لموته عرش الرّحمن ؟!

تذكر دائماً سيرة عمر ابن الخطاب –رضي الله عنه– فقد كان أشدّ على الحق بملايين منّا في هذا الزّمان ، وكان موهباً أعطاه الله بسطة في العلم والجسم ومع ذلك تختلف معه امرءة من الرّعية في مسألة علمية فتُصيب ويخطأ، عندها يقول: **أخطأ عمر وأصابت امرءة.**

وهاهو عمر ابن عبد العزيز لمابسط الله العدل بيديه فتح الله بركاته للأمة ، فلم يوجد من يأخذ الصدقات أويُتصدّق عليه —حسبما نُقل– لأنّ بركات السّماء وصلت إلى بيوت الفقراء وحوّلتهم إلى أثرياء وأغنياء ،حتى رويت أن السباع ارتاعت مع الأغنام دون أذية بعضهما البعض .

واعلم أخي —حفظنا الله جميعاً– أنّنا في زمن يُتسارع على الإمارة ويُتقاتل عليها لا لإصلاحها ولكن لمآرب أُخرى –إلا من رحم الله — فحذار ثمّ حذار أخي أن تكون من ضمن الخائنين.

إخواني الأُمراء أعيروني سمعكم:أُحدّثكم وأنا أو جز الحديث —بإذن الله– عن صلة صلاح الدّين الأيوبي — رحمه الله تعالى — بالله ربّ العالمين لنستفيد معاً عسى الله أن يفتح لنا بمافتح الله له من الإنتصارات الباهرة والفتوحات البارزة .

كان صلاح الدّين كثير العبادة والدّعاء والرّجاء في نصر الله وعونه، وكان يأمر النّاس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحثّهم على الطّاعة والعبادة، **ويتقدّمهم في ذلك** ، ويُهيئ لهم الفرصة لتزكية النفوس والإنشغال بتلاوة القرآن الكريم وتدبّره وحفظه ، وكان حريصاً على صلاة القيام وكثرة الذّكر **،ويحضّ أُمراءه وجنده على ذلك** ،فكان رحمه الله تعالى يجلس إلى العلماء ويقرء عليهم القرآن الكريم ،ويستمع منهم إلى تفسيره ، ويجلس إلى أهل الحديث يتفقه عليهم فقه الحديث، ويستمع إلى الفقهاء والعلماء ، **وكان يحضر العلماء والفقهاء والمفسّرين يُعلّمون الجيش كتاب ربّهم ،** ويُفقّهوهم في دينهم ، ويوثّقوا صلتهم بربّهم، وكان رحمه الله تعالى **يأمر جنوده في الخيام أن يقوموا** في الليل ، وأن يذكروا الله ذكراً كثيراً، وكان يتفقّد خيام الجند ، فإذا وجد خيمة غفل أهلها عن

القيام ، والذّكر، وتلاوة القرآن ، أيقظهم ، وذكرهم بضرورة الإكثار من ذكر الله، وعبادته، وطاعته، وهذه الأمور هي من أهمّ عوامل النّصر على العدوّ[1].

أخي الأمير:استمع معي هذا الحديث لنرى معاً أن الخطب جلل، وأنّ المصيب عظيم، وأنّه لن يفكّنا غداً إلا العدل ، يقول الرّسول–صلّى الله عليه وسلّم–: "مَا مِنْ أَمِيرِ عَشَرَةٍ،إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا، لَا يَفُكُّهُ إِلَّا الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقُهُ الْجَوْرُ "[2].

أخي الوالي:أُحبُّ لك بما أُحبُّ لنفسي ، وأسعد بسعادتك ، وأراك أُبتُليت بمسؤلية عظيمة عُرضت على السموات والأرض فأبينها لعِظم شأنها ، ولخطيرة حفظها ، ولكثرة متعلّقيها وتبعاتها،فنصيحتي لك **أن تتق الله فيها** ، وأن تحرص على تحقيق العدالة قدر المستطاع ، وإيّاك وغشّ الرّعيّة ،فإنّ الغشّ في الأمانة والرّعيّة مهلكة قاتلة، وإنّ الظلم والجور في حقّ الرعيّة محرّم يُخشى عليك عوائده .

ولقد أحسن الشاعر حين قال:

يا أيها الظالم فى فِعْلِهِ فالظُّلم مردودٌ على مَن ظَلَمْ

إِلى مَتَى أَنت وحتَّى متى تَسْلُو المصيباتِ وتنسَى النِّقَمْ

واعلم أخي :أن من حرص على الإمارة أو استغل بها للتعدّي على الآخرين ، أو ظلم في ظلّها ، وأخذ بسيفها وبصلاحيّاتها حقوق الآخرين ظلماً وجوراً ، ستكون عليه حسرة وندامة يوم القيامة، ولن يفكّ قيده إلا العدل ، يقول نبيّنا محمد–صلّى الله عليه وسلّم–:" مَا مِنْ وَالِي عَشَرَةٍ إِلَّا يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهُ الْعَدْلُ أَوْ يُوبِقَهُ الْجَوْرُ "[1].

ويقول أيضاً :"إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَإِنَّهَا سَتَكُونُ حَسْرَةً، وَنَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَنِعْمَتِ الْمُرْضِعَةُ، وَبِئْسَتِ الْفَاطِمَةُ "[2].

---

[1]معارك فاصلة في التا.ريخ الإسلامي " لمحمود بخيت

[2]أبو يعلى الموصلي في "مسنده "(12\388) ، احمد في "مسنده " (2\431) ، ابن أبي شيبة في " مصنفه " (6\421).

[1]أبو يعلى في "مسنده "(12\349) ، المتقي الهندي في " كنز العمال "(6\55)، البوصيري في " إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة"(5\34)

[2]البخاري في "صحيحه " (9\63) ، النسائي في "سننه " (7\181)، ابن المبار ك في "مسنده " (1\165) ، ابن حجر في " أطراف المسند المعتلي "(7\248).

واعلم أنّ حبّ الإمارة والسّعي الحثيث للوصول إلى كرسيّ الحكم ، والتطلّع إلى الرّئاسة بدون مصالح شرعية تستلزم ذلك ، هي رأس البلية ، وبداية الحقد والحسد ، ونهاية الخير والتقوى والعفاف ،وجماع الشّرور، يقول الرّسول صلّى الله عليه وسلم:"مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ"(3).

قال الإمام المباركفوري – رحمه الله تعالى- :"ومعناه: ليس ذئبان جائعان أرسلا في جماعة من جنس الغنم بأشد إفسادا لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين الجائعين لجماعة من الغنم إذا أرسلا فيها أما المال فإفساده أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجر إلى التنعم في المباحات فيصير التنعم مألوفا وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم في الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى وهذه لا ينفك عنها أحد وأما الجاه فيكفي به إفسادا أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال وهو الشرك الخفي فيخوض في المرآة والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة فهو أفسد وأفسد"(4).اهـ.

عهدنا –أخي الحبيب-:أن تؤديها على الوجه المطلوب، وأن تسوسها بالطريقة المثلى ، وأن تُديرها على أنسب الهيئات ، وأن تنهج لضبطها ولحكمها ولتقويمها منهج محمد –صلّى الله عليه وسلّم – وصحبه –رضوان الله عليهم أجمعين- ، وأن لاتوظّف إلا من توفّرت فيه الكفاءة والأمانة امتثالا لهذه الآية الكريمة :﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾، وراقب أعمال عُمّالك في القرى والمحافظات ، واغرس في الأمّة روح الثقة بك وبإدارتك ليستطيعوا تقديم شكاواتهم إليك بدون خوف أو واسطة ، وإياكم وضغائن محمولة، ودنيا مؤثرة ، وأهواء متبعة،وليكن همّك اسعاد نفسك ونفوس رعيّتك ، فقرّب الرعيّة ولاتنفّرها ، ويسّر الدّين لها ولاتعسّر عليها حيث ما الدّين إلا يسيراً ، ولاتنس وصيّة رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– لمعاذ بن أبي جبل وأبي موسى الأشعري –رضي

(3)احمد في "مسنده " (3\456) ، الترمذي في " سننه " (4\588) ، الدارمي في "سننه" (2\304)، النسائي في " السنن الكبرى " (2\213).
(4)"تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي "(14\47).

الله عنهما – حينما بعثهما إِلَى الْيَمَنِ حيث قال لهما: " يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا"[1].

وعليك مراعاة شعور رعيّتك بطبقاتها وبصنوفها وشرائحها، وأن تحترمهم وتعرف لهم قدرهم ، وأن تنزلهم بمنازلهم ، وأن تكرمهم وتحسن إليهم ، عملا بحديث الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– :" لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا"[2] .

وإيّاك وأن تنتقم لنفسك مهما كلّفتك الظّروف فإنّها ليست من سمات المؤمنين ناهيك أن تكون من سمات أُمراء المسلمين ووُلّاتهم ، تقول عائشة –رضي الله عنها– عن النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– أنّه:" مَا خُيِّرَ رَسُولُ الله –صلّى الله عليه وسلّم– بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ –صلّى الله عليه وسلّم–لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ بِهَا "[3].

وسارع إلى الخيرات وإلى بسط الشورى والعدل وردّ المظالم إلى أهلها ، لتكون ممن –بإذن الله– سيستظلون تحت ظلّ العرش يوم لاظلّ إلا ظلّه ، يقول الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–:"سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ، **الْإِمَامُ الْعَادِلُ**...الخ"[4].

ولازم التعفف وأكل الطيّب الحلال ، وإيّاك و المساس بممتلكات الغير أو التصرّف بالممتلكات العامة تصرّفاً مفرطاً ، وتذكر قول الرسول –صلّى الله عليه وسلّم–:(**هَدَايَا الْأُمَرَاءِ غُلُولٌ**)[1].

واعلم أخي المسؤل:أنّ العدل للرّعيّة ، وإيصال الحقوق إلى أهلها ، والانصاف للمظلوم ، يبعث في الأمّة العزّة والكرامة ، ويُولد جيلا محارباً وأمّة تحرّرت إرادتها بدفع الظّلم عنها ، ويُنتج لنا رعيّة

---

[1] البخاري في "صحيحه " (3\1104) ، مسلم في "صحيحه" (5\141)،البيهقي في "السنن الكبرى " (10\86).

[2] احمد في "مسنده " (2\185) ، الحاكم في " مستدركه " (7\216) ، الهيثمي في " مجمع الزوائد ومنفع الفوائد " (7\321).

[3] البخاري في "صحيحه" (4\189) ، مسلم في "صحيحه " (7\80) ، اسحاق بن راهويه في "مسنده" (2\228).

[4] البخاري في "صحيحه "(1\162) ، مسلم في "صحيحه " (3\94)، ابن خزيمة في "صحيحه " (3\185).

[1] البيهقي في "السنن الكبرى " (10\138) ، ابن أبي شيبة في " مصنفه " (19\254) ، ابي عوانه في "مسنده " (8\183).

تُحبّ حُكامها ، وتُطيعهم لأنّهم أقاموا العدل علي أنفسهم ، وأقاموها على غيرهم ، وأمّا الظّلم فهو ظلمات في الدّنيا والآخرة ، وهو يؤذّن ويوحي بزوال الدّول والممالك والجماعات.

قال القاضي ابن شداد عن صلاح الدّين:" لقد كان يجلس للعدل في كلّ يومي الإثنين والخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء ، ويفتح الباب للمتحاكمين حتى يصل إليه كلّ أحد ، من كبير وصغير ، وعجوز وهرمة وشيخ كبير ، وكان يفعل ذلك سفراً وحضراً على أنّه كان في جميع أزمانه قابلا لجميع ما يعرض عليه من القصص، كاشفاً لما ينتهي إليه من المظا لم ، وكان يجمع القصص في كلّ يوم ويفتح باب العدل قاصداً للحوادث والحكومات ، وكان يجلس مع الكاتب ساعة إمّافي اللّيل أو في النّهار ، ويوقع على كلّ قصّة بمايطلق الله على قلبه ، ولم يرد قاصداً أبداً ولامنتحلا ولاطالب حاجّة، وما استغاث إليه أحد إلا وقف وسمع قضيّته ، وكشف ظلامته ، وأخذ بقصّته"[(2)].

وذي إحدى وصايا صلاح الدّين الأيّوبي لأحد أبنائه :" أوصيك بتقوى الله تعالى فإنّها رأس كلّ خير ، وآمرك بما أمر الله به ، فإنّه سبب نجاتك ، وأحذّرك من الدّماء ، والدّخول فيها والتّقلّد لها فإنّ الدّم لاينام، أوصيك بحفظ قلوب الرّعيّة والنّظر في الدّولة وأكابرها ،فمابلغت مابلغت إلا بمداراة النّاس، ولاتحقد على أحد ، فإنّ الموت لايبقى أحداً، واحذر مابينك وبين النّاس، فإنّه لايُغفر إلا برضاهم ، ومابينك وبين الله يغفره بتوبتك إليه ، فإنه كريم[(3)].اهـ.

واعلم أخي الأمير:أنّ دين الأمّة دين ملوكها، والمعنى أنّه متى استقامت أئمّتها استقامت الأُمة ، فرُوي عن قيس بن أبي حازم –رحمه الله تعالى– أنه قال : دخل أبو بكر الصديق على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم فقال: ما لها لا تكلم، قالوا :حجت مصمتةً ، فقال لها: تكلمي فإن هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أنت؟ قال : امرؤ من

---

(2)"معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي " لرجب محمود بخيت.

(3)المصدر السابق.

المهاجرين ، قالت : أي المهاجرين؟ قال: من قريش، قالت: من أي قريش؟ قال: إنك لسؤول أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟

قال : بقاؤكم عليه **ما استقامت به أئمتكم**، قالت : وما الأئمة؟ قال :أما كان لقومك رؤوسٌ وأشرافٌ ، يأمرونهم فيطيعونهم ، قالت : بلى ، قال : فهم أولئك على الناس"[1].

وأقول للرعيّة وعلى مقدّمتها المجاهدون: عليكم بالسّمع والطّاعة ، حيث لادين ولانظام ولا إمارة بدون سمع وطاعة ، يقول الرّسول–صلّى الله عليه وسلّم–:" السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِالْمَعْصِيَةِ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ "[2].

وقال ابن بطال– رحمه الله تعالى–:" احتج بهذا الحديث الخوارج ورأوا الخروج على أئمة الجور والقيام عليهم عند ظهور جورهم ، والذى عليه جمهور الأمة أنه لا يجب القيام عليهم ولا خلعهم إلا بكفرهم بعد الإيمان وتركهم إقامة الصلوات ، وأما دون ذلك من الجور فلا يجوز الخروج عليهم إذا استوطأ أمرهم وأمر الناس معهم ؛ لأن فى ترك الخروج عليهم تحصين الفروج والأموال وحقن الدماء ، وفى القيام عليهم تفرق الكلمة وتشتت الألفة .

وكذلك لا يجوز القتال معهم لمن خرج عليهم عن ظلم ظهر منهم"[3].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: " بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرِهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ "[1].

ويقول الرّسول–صلّى الله عليه وسلّم–:"وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ: السَّمْعُ، وَالطَّاعَةُ، وَالْجِهَادُ، وَالْهِجْرَةُ، وَالْجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا

---

[1] "الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم" بن فتوح الحميدي (1\23).

[2] البخاري في "صحيحه "(3\1080) ، مسند الصحابة في الكتب التسعة (16\61).

[3] "شرح صحيح البخاري" لابن بطال (5\126).

[1] مسلم في "صحيحه " (3\1469) ، ابن عبد البر في " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد " (16\351).ابن حجر في " فتح الباري " (1\75).

أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ "[2].

أخي المجاهد :عليك السمع والطاعة لأميرك حتى وإن ظلمك ، واعتدى عليك، وأخذ مالك واستأثر دنياك ما لم يكن في دينك، أو يصبُّ للإعتداء في أنفس الآخرين .

فعَنْ أَبِي سَلاَّمٍ قَالَ قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ فَجَاءَ اللَّهُ بِخَيْرٍ فَنَحْنُ فِيهِ فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ نَعَمْ. قُلْتُ هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ قَالَ « نَعَمْ ». قُلْتُ فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ قَالَ « نَعَمْ ». قُلْتُ كَيْفَ قَالَ « يَكُونُ بَعْدِى أَئِمَّةٌ لاَ يَهْتَدُونَ بِهُدَاىَ وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِى وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِى جُثْمَانِ إِنْسٍ ». قَالَ قُلْتُ كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ قَالَ « تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأُخِذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ "[3].

قال الطبري–رحمه الله تعالى–:"والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة"[1].

وقال الشيخ ابن عثيمين –رحمه الله تعالى–:"واعلم أنك سوف تقتص يوم القيامة من حسناته، فإن بقي من حسناته شيء وإلا أخذ من سيئات من ظلمهم، ثم طرح عليه ثم طرح في النار والعياذ بالله. فالأمر مضبوط ومحكم لا يضيع على الله شيء"[2].

واعلم أخي: إذا كان الأمير لايعرفك ، ولا يقبل شفاعتك ، ولا تجده إن طلبته ، فإنّك إن صبرت عليها ، وأتقنت عملك ، وتوكّلت على الله ، وأخلصت لله نيتك ، ولقيت الله وأنت على ذلك –

---

[2]احمد في "مسنده" (19\62) ، الترمذي في "سننه " (5\148) ، السيوطي "جامع الأحاديث " (41\255) ، الطبراني في " الجامع الكبير " (3\286).

[3]مسلم في " صحيحه " (6\20)، البيهقي في " السنن الكبرى " (8\157) ، محمد النيسابوري في " المستدرك " (8\220)، أبو داود الطيالسي في " مسنده "(1\114).

[1]"تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي " (11\362).

[2]"شرح رياض الصالحين" (24\18.)

فبإذن الله- تدخل الجنّة ، ولك بشارة من عند النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- حيث يقول: " إِنَّ أَوَّلَ ثُلَّةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الَّذِينَ يُتَّقَى بِهِمْ الْمَكَارِهُ، وَإِذَا أُمِرُوا، سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، وَإِذَا كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَى السُّلْطَانِ لَمْ تُقْضَ لَهُ، حَتَّى يَمُوتَ وَهِيَ فِي صَدْرِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ عزّ وجلّ يَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ، فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَزِينَتِهَا، فَيَقُولُ: أَيْ عِبَادِي الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ "[3].

ويقول أيضاً في حديث آخر:"إنّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا، وَلَمْ يُعْرَفُوا قُلُوبُهُمْ مَصَابِيحُ الْهُدَى، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ"[4].

أخي المجاهد:إيّاك وأن تكون عبداً للدّرهم والدّينار والدّولار والذّهب وسائر الدّنيا ، ترضى لإيجادها، وتسخط لفقدانها ، واستمع حديث الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم–واعمل به رعاك الله وثبّتك على الحقّ، يقول الرّسول–صلّى الله عليه وسلّم-: "تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ "[1].

وعموماً:فعلى الأُمراء والرّعيّة بمافيهم المجاهدون أن يدركوا حقّ الإدراك على أنّهم جميعاً مسؤلون بمراعات الجماعة ووحدة الصفّ والكلمة وأنّهم سوف يُسألون عمااسترعاهم الله ، بدليل حديث رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- :" أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ "[2].

---

[3]احمد في "مسنده" (9\208) ، ابي الفضل في " المسند الجامع " (20\273) ، الهيثمي في "مجمع الزوائد " (4\70).

[4]ابن ماجة في "سننه" (2\1320) ، الحاكم في "مستدركه " (1\2) ، التبريزي في "مشكاة المصابيح " (3\155).

[1]البخاري في "صحيحه" (3\1057) ، البيهقي في "سننه " (1386)،ابن عبد البر في " التمهيد لما في الموطأ " (23\281).

[2]البخاري في "صحيحه" (3\150) ، مسلم في " صحيحه" (6\8)، الترمذي في " سننه" (3\124)،البيهقي في "سننه " (2\7).

وعلى الجميع:السمع والطاعة ، وحسن المؤازرة والمكاتفة ، وأن يحذروا كلّ الحذر مماطلة حقوق بعضهم البعض، أو أن يتهاون كلّ طرف عن أداء حقّه ، فعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: " سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ؟، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ؟، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ"[(3)].

وخطب عمر رضي الله عنه لأصحابه "**بجابية**" وقال:" أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ، حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ،عليكم بالجماعة و إياكم و الفرقة فإن الشيطان مع الواحد و هو من الإثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، و من سرته حسنته و ساءته سيئته فذلكم المؤمن"[(4)].

عهدنا النّهائي:أن نُيسّر ولانُعسّر، وأن نلزم الجماعة وسوادها الأعظم، وأن نرحم صغيرنا ونعترف حق كبيرنا ، وأن نقدم المصالح العامة على المصالح الفردية ، وأن نُتقن الأعمال ونُدومِها، وأن نُضافر الجهود لنُبني مجد الأمّة المفقود على مدى عقود من السنين ، وأن نعلم أنّ يد الله مع الجماعة، ونُدرك أنّ اليد الواحدة لاتصفق، وأنّ الرّجل الواحد لايُبني دولة، وعلينا أن نُنسي الماضي لنُشرق الحاضر ونزدهر القادم، ونرى أن يُعامل كلٌّ منّا بالآخر بما يُحبُّ أن يُعامل به،وأن نؤتى الآخرين بما نُحبُّ أن نؤتى به، وأن نعلم أنّ الصبر والمصابرة ، والتحمل ورباطة الجأش وكظم الغيظ ، والعفو والتّسامح يُبلغ المنى ويُوصل المرام على الوجه الأكمل ، ونرى أن يصبر بعضنا البعض فإنّنا والله على سفينة واحدة ، إن نجت نجينا جميعاً ، وإن غرقت بسبب تقصير أو تفريط من بعضنا فنُهلك جميعاً.

---

(3)مسلم في "صحيحه" (6\19) ، ابن الأثير في "جامع الأصول من أحاديث الرسول " (1\2083)، الطبراني في "المعجم الكبير " (16\12).

(4)الترمذي في "سننه " (3\315) ، النسائي في "سننه الكبرى " (5\354) ، ابن عبد البر في " الإستذكار " (8\530). وصححه الألباني في "الإرواء."

وعلينا أن نُحسن ظنوننا للمؤمنين لاسيّما ولّاة الأُمور، وأن نحمل كلامهم محمل الحسن والجدّ والخير إن وجدنا له سبيلا، وأن نستر عوراتنا ، وأن نُغضي الطرف عن زلاتهم وهفواتهم ، وأن نُدرك تمام الإدراك على أنّ لنا عورات وللنّاس ألسن ، وأن نعمل بهذه الحكمة(**لاتذكر لسانك عورات امرء فلك عورات وللنّاس ألسن**).

وأحسن الشاعر حين قال:

فيا قَوْمَنا لا تظْلِمُونا فإنَّنا نَرَى الظُّلْم أَحياناً يُشِلُّ ويُعْرِجُ
ويَترُك أَعرَاضَ الرِّجال كأَنَّها فريسَة لحْمٍ ليسَ عَنها مُهَجْهِجُ

تذكر أخي المسؤل هذه الحكم:

1. أنت واحد من النّاس ومايؤثّر فيك يؤثّر فيهم.
2. عندما تقول: أنا أولا. يكون الردّ: بل أنا، وعندما تقول: أنت أولا . يكون الردّ:بل أنت أوّلا.
3. واعلم أن الإستخفاف بآراء الآخرين يدفعهم إلى مزيد من المقاومة.
4. كافئ المحسن على احسانه وتجاوز سيئات المسيئ إن لم تكن في حساب الدّين.

تذكّر أخي الجنديّ هذه المقولة :

1. لتصبح قيادتنا **أبوبكريين** فلا بدّ أن نكون لها **عمريّين**.
2. لكي نستطيع المضيّ قدماً ونبني صرح الخلافة الموعودة يجب أن نُتقن تعاملنا مع الآخرين ، ونُسامح أخطاءهم ، ونعتذر لهم ، وأن لانتتابع زلّاتهم ، وهفواتهم وسقطاتهم ما لم تكن في حقّ الدّين والمصالح العامّة المشتركة.
3. لاتنس أخي الحبيب أنّ هناك نُقاطاً يتّفق عليها الجميع ويُحتاج منّا أن ننطلق منها.
4. أن تُجاهد تحت أمير جائر مسلم خير لك من أن تتقاعد عن الجهاد أو تركن إلى الذين كفروا – والعياذ بالله–.

5. أن ترضى بأن تكون تحت امرة من هو دونك من حيث العلم ،والسّبق ،والسنّ، والخطابة ، والذّكاء ، والجسم ، والجاه، خير لك من أن تشقّ عصا الأمّة وتُفرّق صفّهم، وتموت وأنت عاص لأميرك ، خلعت بيعتك بدون مبرر شرعيّ معتبر.
6. أن تلقى الله بذنبك خير لك من أن تلقاه بذنبك وذنوب من ولُّيت عليهم.
7. اعلم أنّ أصل البغيّ والحسد والظّلم هي حبّ الرئاسة وطلب الإمارة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى –: فَطَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ ؛ وَطَاعَةُ وُلَاةِ الْأُمُورِ وَاجِبَةٌ لِأَمْرِ اللَّهِ بِطَاعَتِهِمْ فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ بِطَاعَةِ وُلَاةِ الْأَمْرِ لِلَّهِ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ . وَمَنْ كَانَ لَا يُطِيعُهُمْ إلَّا لِمَا يَأْخُذُهُ مِنْ الْوِلَايَةِ وَالْمَالِ فَإِنْ أَعْطَوْهُ أَطَاعَهُمْ ؛ وَإِنْ مَنَعُوهُ عَصَاهُمْ : فَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ .

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : {ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إلَيْهِمْ ؛ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ؛ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ ؛ وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ فَحَلَفَ لَهُ بِاَللَّهِ لَآخِذِهَا بِكَذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ غَيْرُ ذَلِكَ وَرَجُلٌ بَايَعَ إمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إلَّا لِدُنْيَا ؛ فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَّى ؛ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ}[1].

وتذكرتي لسائر الرّعيّة:إن لم تُحسنوا لأُمرائكم ، وتسمعوا أوامرهم –ماكانت معروفاً–، وتدعوا لهم على ظهر الغيب ، وتسألوا الرّحمن لهم أن يُعينهم ويرزقهم ببطانة صالحة ، فلن تجدوا رغباتكم ، وسوف تُحرمون كثيراً من طموحاتكم .

واعلموا أنّ الرّعيّة يُولّى على حسب استقامتها ، وكما تدين يُدان ، وإن سمحوا يُسمح لهم ، وإنّ النّاس مجزيّون بأعمالهم ،إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشرٌّ، وإنّ الجزاء من جنس العمل ، وقال ربي – جل في علاه–[**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**][الرعد:11].

---

[1] "مجموع الفتاوى " لابن تيمية (**9\192**).

واعلموا أنّكم مُطالبون:بحفظ الممتلكات العامّة ، ومراعات المصالح العامّة ، ونهي المنكرات ، وأمر المعروف، واسداء النُصح ، وتقديم التّوجيهات ، والإدراك التامّ بأنّ المسؤلية علينا جميعاً ، وأنّنا بالجماعة والإتّحاد والتّعاضد والتّعاون والتآزر نبلغ مبتغانا ، ونُحقّق آمالنا، ونُنجز إراداتنا ، ونُحوّل أحلامنا إلى حقائق يُرى على أرض الواقع -بإذن الله-.

أخي المجاهد:عليك أن تتصرّف كالأمير عند الحديث عن حفظ الممتلكات العامة، ومراعاة المصالح العامة، واتقان العمل ، وحفظ عورات المسلمين عامة والمجاهدين بصفّة خاصة . **واعلم أنّك مسؤل** على سدّ أيّ فجوة تراها ، وأنت مطالب على أن تتأ لّم للعمل حيث لأجله فارقت الأهل والأولاد ، ولأجله استعديت قوى الكفر والإجرام ، وعارٌ بل وألف عار أن ترى الشقوق ولم تسد ، وترى الفراغات ولم تملئ، وترى أموال المجاهدين وممتلكات العامة ضائعة ولم تحفظ ، نراك من أهل القبور إن لم تتأ لّم مع العمل ، ونُصبّر نفوسنا عن فراقك إن لم تحرّكك الغيرة للممتلكات العامّة ، ونراك ضعيفاً إن لم تشعر المسؤلية العظمى الملقاة على كاهلك ، ولاخير فيك إن لم يبعث هذا الحديث فيك روح المسؤلية (**أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**).

السّلاح الذي تحمله من الممتلكات العامة وسوف تُسأل عنه إن ضيّعته وتركته على العراء تتساقط عليه الرّطوبة ، وتتراكم عليه الأوساخ ، وتتجمّع عليه الضُباب والغبار.

واعلم أنّ من ضيّع سلاحه ، وجعبته ، وكتب أذكاره ، وأدوات عيشه ، ونظافة البيئة التي يعيش فيها، فلما سواها أضيع ، وقلّما يوجد فيه بقيّة من خير.

أخي الحسبوي:فاعلم أنّك مرآة العمل ، وممثل المجاهدين في أنظار الأُمّة ، فإذا رأو فيك حسنة، ولطفاً للأُمّة، ورحمة للضّعفاء ، سوف يُكِنّون لبقيّة المجاهدين ألف خير ، وسوف يدعون لهم على ظهر الغيب والعكس صحيح.

ورُبّما يقدم زائر من الخارج يريد أن يتعلّم عن المجاهدين ، ويبحث ما مدى صحة الأكاذيب التي تُروج في الخارج من قِبلِ أعدء الجهاد والمجاهدين حول المجاهدين والتي منها على سبيل المثال: أنّهم غليظون على الرّعية وعلى الضعفاء ، وأوّل من سيُقابله ذلك الزائر سوف تكون أنت حتماً لهذا

إذا رآك تتغلّظ على المسلمين ولا ترحم لضعفائهم ، ويراك تستعدي بهم وكأنّهم في خانة الأعداء لايستحقون خفض الجناح ، ولا لين الكلام ، فبا الله عليك ماذا سيتصور ذلك الزائر ؟ وماذا سيعتقد عنّا؟وماذا سيعود إلى بلاده؟ وما الذي سيقول عنّا؟

وإذا رآك تخفض لهم جناحك، وتسلّمهم ، وتلين لهم أقوالك ، وتساعدهم ، وتسامحهم حتى وإن تطاولوا عليك، وتصبر على أذاهم ، وتعين الضعفاء منهم ، وتسأل شكاواتهم ، وتُفقد حاجاتهم وتيسر لهم حوائجهم قدر الإستطاعة ، وتحييهم بسلام تخرج من سويداء القلب ،فماذا عساه أن يتصور عنّا ذلك الزائر المسلم المحقّق الطالب للحقيقة الرّاغب نصرة الجهاد والمجاهدين؟.

تذكّر هذه المقولة:

1. أنّ الله أرسل نبيّه موسى وهارون –عليهم وعلى نبيّنا الصلاة والسلام- وهم خير منّا بكثير إلى من هو شرّ منّا جميعاً – **فرعون اللّعين** – ومع ذلك أمرهما الله أن يخاطبوه بكلام ليّن جذّاب سهل لعله يتذكّر بقوله جلّ في علاه :﴿**اذْهَبَاإِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (43) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْيَخْشَى**﴾.[طه:43-44].
2. من أن تكسب للمجاهدين شعبية ، وتجذب لهم أنصاراً وأعوانا بكلامك وأقوالك دون مداهنة خير لك من أن تسوء صورتهم ، وتنفر عنهم الناس ،وتسبّب لهم كُرها وبُغضاً شعبياً لسوء تصرّفاتك وأنت لاتُدرك .
3. أن تُنقذ مسلماً من الهلاك ، أو أن تُضمه إلى ركب الجهاد وقافلة الشّهادة خير لك من أن تُسبّب نفوره عن الجهاد أو حتى عن سماعه.
4. تذكّر دائماً هذا الحديث الشّريف :" إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ"(1).

---

(1)"فتح الباري " لابن حجر (23\431)، البيهقي في "شعب الايمان " (1\455) ، ابن ماجه في "سننه" (1\86) ، وحسنه الألباني في "صحيح ابن ماجه " (9\50).

5. نعلم على أنّ طريق الجهاد محفوف بالمكاره ، ومخاط بالمصائب ، ومبتليٌ بقلّة الناصر وكثرة المخذّل ، لكنّ الذي يصبر على هذه المحن ، ويحتسب بها إلى الله ، ويتفاءل بأن تتحول الأمّة إلى صفّ الجهاد ولو بعد مدّة ، خير وأفضل ممن يقنط وييأس وأخيراً يتسرّع إلى حكم المخالف بالكفر والتبديع والتفسيق للتّشفّي والإنتقام والغضب ، لا للحقّ ولا الإنتصار لله ولرسوله وللمؤمنين ولكتاب الله وللضرّوريات الخمسة .
6. لا تنس أنّ نبيّك محمداً –صلّى الله عليه وسلّم- قد أو ذي في الله أشدّ الأذاء حيث سُفك دمه من قِبل غلمان الطّائف، وكسّرت رباعيته يوم الأُحد ، وجاءه المدد الإلهي في أمسّ الحاجّة إليه يوم أن رجع عن ديار ثقيف في الطائف حيث جاء ه جبريل عليه السلام ، ومعه ملك الجبال يأتمر بأمر النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم- ، لكنّه لم يكن يتنقم لنفسه لاعتباره قائداً للأمّة بما فيها أولئك الذين اعتدوا على شرفه وعرضه لهذا قال:« اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون . . إني لأرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يؤمن بالله »[2].

الفصل الثامن:وفاء العهود والوعود وعدم الغدر والإخلاف

العهد: التزام بين اثنين أو أكثر على شيء يعامِل كل واحد من الجانبين الآخرَ به .

وسمي عهداً لأنهما يتحَالفان بعهد الله ، أي بأن يكون الله رقيباً عليهما في ذلك لا يفيتهم المؤاخذة على تخلفه[1].

الوعد: أعم من العهد مطلقا فإن العهد هو الوعد الموثق فأينما وجد العهد وجد الوعد من غير عكس لجواز أن يوجد الوعد من غير توثيق، ويمكن أن يكون بينهما عموم وخصوص من وجه

---

[2]"أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن" للشنقيطي (8\376).

[1]"التحرير والتنوير " لمحمد الطاهر بن عاشور (17\76).

فالوعد أعم من العهد بأن العهد لا يطلق إلا إذا كان الوعد موثقا والوعد أعم من أن يكون موثقا أو لا يكون كذلك[2].

الإخلاف: الرجوع عن إيفاء الوعد وهذا محمول على من وعد وهو على عزم الخلف أو ترك الوفاء من غير عذر[3].

قَالَ الله تَعَالَى:﴿**وَأوْفُوا بِالعَهْدِ إنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً**﴾.[الإسراء: 34].

عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ:"**[إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولا]**، قَالَ:"يسأل الله ناقض العهد عَنْ نقضه"[4].

وقال الله تعالىً :﴿**وَأوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ**﴾.[النحل:91] .

وقال ابن جرير–رحمه الله تعالى–: حدثني محمد بن عمارة الأسدي، حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا أبن أبي ليلى، عن مَزيدة في قوله:﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ**﴾ قال: نزلت في بيعة النبي–صلّى الله عليه وسلّم–، كان من أسلم بايع النبي–صلّى الله عليه وسلّم–على الإسلام، فقال:﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ**﴾ هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام،﴿**وَلا تَنْقُضُوا الأيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا**﴾ البيعة، لا يحملنكم قلة محمد وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي تبايعتم على الإسلام"[1].

وقال الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ [المائدة : 1].

---

[2]"عون المعبود شرح سنن أبي داود " للعظيم أبادي (12\289).

[3]"كشف المشكل من حديث الصحيحين" لابن الجوزي _ بتصرّف يسير (1\934).

[4]"تفسير القرآن العظيم " لابن ابي حاتم (9\159).

[1]"جامع البيان في تأويل القرآن " لابن جرير الطبري (8\231).

وقال الضحاك:[أَوْفُوا بِالْعُقُودِ]قال: ما أحل الله وما حرم ، وما أخذ الله من الميثاق على من أقر بالإيمان بالنبي –صلى الله عليه وسلم– والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام[2].

قال أبو جعفر الطبري – رحمه اله تعالى–:"يعني جل ثناؤه بقوله:[يا أيها الذين آمنوا أوفوا]، يا أيها الذين أقرّوا بوحدانية الله، وأذعنوا له بالعبودية، وسلموا له الألوهية وصدَّقوا رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم في نبوته وفيما جاءهم به من عند ربهم من شرائع دينه.

[أوفوا بالعقود] يعني: أوفوا بالعهود التي عاهدتموها ربَّكم، والعقود التي عاقدتموها إياه، وأوجبتم بها على أنفسكم حقوقًا، وألزمتم أنفسكم بها لله فروضًا، فأتمُّوها بالوفاء والكمال والتمام منكم لله بما ألزمكم بها، ولمن عاقدتموه منكم، بما أوجبتموه له بها على أنفسكم، ولا تنكُثُوها فتنقضوها بعد توكيدها "[3]اهـ.

وقال تَعَالَى فِي كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ(٢)كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: 2-3].

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا صخر بن جُوَيرية، عن نافع قال: لما خلع الناس يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر بنيه وأهله، ثم تشهد، ثم قال: أما بعد، فإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم– يقول: "إن الغادر يُنصب له لواء يوم القيامة، فيقال هذه غَدْرة فلان وإن من أعظم الغَدْر –إلا أن يكون الإشراك بالله–أن يبايع رجل

[2]"تفسير القرآن العظيم " لابن كثير(2\7).

[3]"جامع البياى فيي تأويل القرآن" لابن جرير الطبري (0\447).

رجلا على بيعة الله ورسوله، ثم ينكث بيعته، فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون صَيْلم بيني وبينه"[1].

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا حجاج، عن عبد الرحمن بن عابس، عن أبيه، عن حذيفة قال: سمعت رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–يقول: "من شرط لأخيه شرطًا، لا يريد أن يفي له به، فهو كالمدلي جاره إلى غير مَنْعَة"[2].

وقال زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿**أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ قال: العقود خمس:" عقدة النكاح، وعقد الشركة، وعقد اليمين، وعقدة العهد، وعقدة الحلف"[3].

وذي جملة من الأحاديث النبوية الشريفة حول إيفاء العهود وانجاز الوعود

(1)– عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ »[4].

قال الإمام النووي –رحمه الله تعالى– :" فالذى قاله المحققون والاكثرون وهو الصحيح المختار أن معناه:إن هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين فى هذه الخصال ومتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجود فى صاحب هذه الخصال ويكون نفاقه فى حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق فى الاسلام فيظهره وهو يبطن الكفر ولم يرد النبى صلى الله عليه و سلم بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين فى الدرك الاسفل من النار وقوله–صلى الله عليه و سلم– (**كان منافقا خالصا**)معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال . قال بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فأما من يندر

---

[1] رواه احمد في "المسند" (2/ 48.).

[2] احمد في " المسند" (21\156) ، وقال شعيب ارناؤط في (مسند الأحمد بأحكام ارناؤوط): في إسناده ضعف .

[3] "جامع البيان عن تأويل آي القرآن " لأبي جعفر الطبري (30\89).

[4] البخاري في "صحيحه" (1\16) ، ممسلم في "صحيحه" (1\56) ، الترمذي في "سننه" (4\130) ، النسائي في "السنن الكبرى " (6\329).

ذلك منه فليس داخلا فيه فهذا هو المختار فى معنى الحديث ، وقد نقل الامام أبو عيسى الترمذى –رضى الله عنه– معناه عن العلماء مطلقا فقال:" انما معنى هذا عند أهل العلم نفاق العمل".

وقال جماعة من العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا فى زمن النبى –صلى الله عليه و سلم– فحدثوا بايمانهم وكذبوا واؤتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا فى أمر الدين ونصره فأخلفوا وفجروا فى خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح ورجع إليه الحسن البصرى رحمه الله بعد أن كان على خلافه وهو مروى عن بن عباس وبن عمر رضى الله عنهم وروياه أيضا عن النبى– صلى الله عليه و سلم–. قال القاضي عياض رحمه الله:"واليه مال كثير من أئمتنا ".وحكى الخطابى رحمه الله قولا آخر أن معناه:التحذير للمسلم أن يعتاد هذه الخصال التى يخاف عليه أن تفضى به إلى حقيقة النفاق"[1].

(2)– وعن جابر–رضي الله عنه– قَالَ : قَالَ لِي النبيُّ–صلّى الله عليه وسلّم– (لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهَكَذَا وَهكَذَا) فَلَمْ يَجِئْ مَالُ الْبَحْرَينِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ–صلّى الله عليه وسلّم– فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أمَرَ أَبُو بَكْرٍ–رضي الله عنه– فَنَادَى : مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم– عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأتِنَا ، فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : إنَّ النَّبيَّ –صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ لي كَذَا وَكَذَا ، فَحَثَى لي حَثْيَةً فَعَدَدْتُها ، فَإذَا هِيَ خَمْسُمِئَةٍ ، فَقَالَ لِي : خُذْ مِثْلَيْهَا"[1].

قال الإمام النووي —رحمه الله تعالى–:"وقد أجمعَ العلماءُ على أن مَن وعد إنساناً شيئاً ليس بمنهيّ عنه فينبغي أن يفي بوعده، وهل ذلك واجبٌ أو مستحبّ ؟ فيه خلاف بينهم؛ ذهب الشافعيُّ وأبو حنيفة والجمهورُ إلى أنه مستحبّ، فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة تنزيه شديدة، ولكن لا يأثم؛ وذهبَ جماعةٌ إلى أنه واجب.

---

[1]"المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج " (2\48).

[1]متفقٌ عَلَيْهِ.

قال الإِمامُ أبو بكر بن العربي المالكي :أجلُّ مَن ذهبَ إلى هذا المذهب عمرُ بن عبد العزيز.

قال : وذهبتِ المالكية مذهباً ثالثاً أنه إن ارتبط الوعدُ بسبب كقوله : تزوّج ولك كذا، أو احلف أنك لا تشتمني ولك كذا، أو نحو ذلك، وجب الوفاء، وإن كان وعداً مُطلقاً لم يجب . واستدلّ مَن لم يوجبه بأنه في معنى الهبة، والهبة لا تلزم إلا بالقبض عند الجمهور، وعند المالكية : تلزم قبل القبض"[2].

وقد ذكر الإمام الماورديّ في الشّهادات عن المروءة أنّ مخالفة الوعد كذب ترديه الشّهادة"اه.

وقال الغزالي في الإحياء: انّ إخلاف الوعد إنما يكون كذباً إذا لم يكن في عزمه حين الوعد الوفاء به ، أما لوكان عازماً عليه ، ثمّ بدا له ألا يفعل، فليس بكذب ، لأنه حينئذ إخبار عما نفسه ، وكان مطابقاً له ، فيكونصديقاً" .اه.

وقد عدّه الغزالي في إحيائه من حقوق المسلم فقال:منها أن لايعد مسلما بوعد إلا ويفي به[3].

قلتُ: وهذا إن كان الوعد خيراً ومعروفاً ، اما الوعد بالشّرّ، فيستحبّ إخلافه بل ويجب عدم إيفائه إن كان يترتب منه مفسدة عظيمة وإثم كبير ،وقد يجب الإنفاذ والإيفاء به ما لم يترتب عليه مفسدة والله أعلم.

وعن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجزه له ، ومن أوعده على عمل عقابا فهو بالخيار »[1].

وعن عبد الملك بن قريب الأصمعي ، قال : « كنت عند أبي عمرو بن العلاء ، فجاءه عمرو بن عبيد ، فقال له : يا أبا عمرو ، آلله يخلف الميعاد ؟ قال :« لا» ، قال : فإذا وعد على عمل ثوابا

---

[2]"الأذكار " للإمام النووي (1\314).

[3]"احياء علوم الدين " لأبي حامد الغزالي (2\198).

[1]"الإبانة الكبرى " لابن بطة (5\29) ، "المعجم الأوسط " لأبي القاسم الطبراني (8\240)،"مكارم الخلاق " للخرائطي (1\2).

أنجزه ؟ قال : «نعم» قال : وإذا وعد على عمل عقابا أنجزه ؟ قال : «إن الوعد عند العرب غير الوعيد ؛ لأن العرب لا تعد خلفا أن تعد بالشر فلا تفي به ، إنما الخلف عندهم أن تعد بالخير فلا تفي به ، أما سمعت قول الشاعر :

لا يرهب ابن العم والجار صولتي ولا أنثني من سطوة المتهدد

وإني إذا أوعدته ووعدته ليكذب إبعادي ويصدق موعدي»[2].

قال الله تعالى في شأن نبيّ الله إسماعيل – عليه وعلى نبيّنا الصلاة والسّلام –:﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾ [مريم:54].

روي عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أنّه قال: أنّ اسماعيل –عليه السلام –وعد صاحباً له أن ينتظره في مكان، فانتظره سنة"[3].

وقال عبد ربه القصاب–رحمه الله تعالى–:"واعدت محمد بن سيرين رحمه الله أن أشتري له أضاحي فنسيت وعده بشغل ثم ذكرت بعد فأتيته قريبا من نصف النهار وإذا محمد ينتظرني فسلمت عليه ورفع رأسه فقال : أما إنه قد يقبل أهون ذنب منك فقلت : شغلت وعنفني أصحابي في المجيء إليك وقالوا : قد ذهب ولم يقعد إلى الساعة فقال : لو لم تجيء حتى تغرب الشمس ما قمت من مقعدي هذا إلا للصلاة أو حاجة لابد منها"[1].

وعن الحسن بن عبيد الله –رحمه الله تعالى– أنه قال : قلت لإبراهيم : الرجل يواعد الرجل الميعاد ولا يجيء ؟ قال : لينتظر ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء "[2].

---

[2]"مكارم الأخلاق" للخرائطي (1\200)." المعتصر من المختصر من مشكل الآثار " (1\217).

[3]"تفسير الرازي " لأبي عبدالله الرازي (10\321) ، "تفسير السراج المنير " لمحمد الشربيني (2\341).

[1]"الصمت وآداب اللسان " لابن أبي الدنيا (1\232).

[2]"الصمت وآداب اللسان " لابن أبي الدنيا (1\232).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ : جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– بَيْتَنَا وَأَنَا صَبِيٌّ صَغِيرٌ فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ فَقَالَتْ لِى أُمِّى : يَا عَبْدَ اللَّهِ تَعَالَ أُعْطِيكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– :« مَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟ ». قَالَتْ : أَرَدْتُ أَنْ أُعْطِيَهُ تَمْرًا. قَالَ :« أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تَفْعَلِى لَكُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةً »[3].

وعن ابن مسعود–رضي الله عنه– أنه قال:لايصلح الكذب في جد ولاهزل ، ولا أن يعد أحدكم ولده شيئاً ثم لاينجزله"[4].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– :« اضْمَنُوا لِى سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الْجَنَّةَ اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ »[5].

ظريفة : كان هناك رجل من العماليق يُقال له: عرقوب بن معبد بن زهرة أحد بني شمس بن ثعلبة، وقيل:غير ذلك ، وكان خبره :أنه أتاه أخ له يسأله شيئاً فقال:إذا أطلح نخلي،فلما أطلح أتاه، قال:إذا أبلح ، فلما أبلح أتاه ، قال: إذا أزهى ، فلما أزهى أتاه ، قال: إذا أرطب ،فلما أرطب أتاه، قال:إذا صار تمراً،فلماصار تمراً جذه بالليل ولم يعطه شيئاً، فصار مثلا يضرب به في الإخلاف فيقال:**أخلف من عرقوب**.

وقال كعب بن زهير في قصيدته المشهوره–:

كانت مواعيد عرقوب لها مثل ومامواعيدها إلا الأباطيل.

وقال الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى–:

---

[3]أبو داود في "سننه" (4\493) ، البيهقي في "سننه الكبرى " (2\35) ، ابن أبي شيبة في "مصنفه " (5\236).

[4]البخاري في " الأدب المفرد " (1\140) ، "تهذيب الآثار " لمحمد الطبري (2\21).

[5]ابن حبان في "صحيحه " (1\506) ، البيهقي في "سننه " (2\246) ، الحاكم في "مستدركه " (7\429) ، احمد في "مسنده" (5\323).

سلام على الدّنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق صادق الوعد منصفاً

أخي المجاهد:لايصلح لمثلك أن يخون لمن ائتمنه، ولا ينبغي لمجاهد تنتظره الأمّة من اصلاحها وترشيدها وتقويمها وتوجيهها أن يغدر بمن عاهده وأعطى أمانه، ولايُرجى لمجاهد مثلك أن يتصّف بعدم وفاء الوعود والتخلف عن العهود، لأنّها من علامات أهل الفسق والفجور، وليست من علامات أهل الجهاد والكرم.

إذا عهدت فأوفها وإن كانت ثقيلة ، واعلم أنّها من علامات أهل الإيمان .

وإيّاك والتأخر عن إيفاء العهود والمواثيق ، وكن حذراً من أن تتصف واحدة من الخصال الآتية التي ذكرها رسولك محمداً –صلّى الله عليه وسلّم– على أنّ من وُجد فيه خصلة منها يكون منافقاً خالصاً ، يقول الرّسول – صلّى الله عليه وسلّم- :أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فيهِ خصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا اؤْتُمِن خَانَ، وَإِذَاحَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَاعَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَاخَاصَمَ فَجَرَ"[1] .

تذكّردائماً قول الباري جلّ في علاه﴿**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا** ﴾ [الإنسان:7]. وقوله تعالى :﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء:34].

أخي الحبيب: إذا حدّثتك نفسك –الأمارة بالسّوء– أن تخلف العهود فاعصها ولا تطع أمرها وقل لها: ألستُ من أهل الإيمان الذين نُودي إليهم بهذه الآية :﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ [المائدة :1].

[1] البخاري في "صحيحه" (1\131) ، مسلم في "صحيحه" (1\56) ، النسائي في "سننه" (8\490).

أم أنني لستُ ممن يُخاطبهم الله بقوله :﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ**﴾ [النحل:91] حتى أخلف الوعود ، وأغدر العهود؟ .

وتذكّرأخي المجاهد: أنّ المسلم لايكذب ولا يخلف الميعاد، ولايغدر ولايخون، ولايغشّ ولايخدع، لأنّ الله لايحبّ الخائنين ،ولايهدي الخادعين، ولايُحبُّ اللهَ- وإن زعم- من خان المؤمنين وغدرهم وخالف عهودهم لأنّ الله وصف على نفسه أنّه لايُخلف الميعاد، ورسوله لم يكن غادراً ولا مخالفاً للعهود-وحاشاه-، وكلّ من ادّعى حبّ الله فعليه متابعة رسوله محمداً-صلّى الله عليه وسلّم-لأنّ الحبيب لمن يُحبُّ مطيع امتثالا لقول الله تعالى:﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾[آل عمران: 31-32].

عزيزي الغالي : أن تكون معروفاً بالصدق ، موصوفاً بإيفاء العهود ، متعوداً بإنجاز الوعود ، محبّباً بحفظ الأمانات والمواثيق ، حليماً إذا اعتُدي عليه ، رؤوفاً إذا أمر ، عفيفاً إذا طمع،سامعاً ومطيعاً إذا أُمر ،مختفياً غير معجب للشهر خيرٌ لك من أن تكون موصوفاً بالغدر والخيانة ، والغشّ والخديعة ، واخلاف العهود والوعود وعدم السمع والطاعة وحبُّ الشهرة والإمارة.

قال الشاعر:

ياصادق الوعد قولاوصادق الود فعلا أتيتُ بابك أرجوا تنجز وعدك فضلا

واعلم أخي : أنّ الإسلام أكد الوفاء بالعهد وشدد؛ لأن هذا الوفاء مناط الاستقامة والثقة والنظافة في ضمير الفرد وفي حياة الجماعة.

وقد تكرر الحديث عن الوفاء بالعهد في سور شتى من القرآن الكريم والحديث الشريف كما تقدم لنا ؛ سواءٌ في ذلك عهد الله وعهد الناس، عهد الفرد وعهد الجماعة وعهد الدولة، عهد الحاكم وعهد المحكوم. وبلغ الإسلام في واقعه التاريخي شأوًا بعيدًا في الوفاء بالعهود لم تبلغه البشرية إلا في ظل الإسلام.

قال محمدبن الحسين –رضي الله عنه-:" الخلف أن تعدو من نيتك أن لاتفعل، فأما إذا وعدت ومن نيتك أن تفعل فليس بخلف[1].

وقال عمر بن عبد العزيز–رحمه الله تعالى-:"أربع إذا قلتها متى وعدت ثم لا تفعل لم تكن مخلفاً: إن شاء الله، ولعل، وانظر ، وأرجو"[2].اهـ.

قال المهلب– رحمه الله تعالى-:"يا بني إياك والسرعة عند المسألة **بنعم**، فمدخلها سهل ومخرجها وعر، واعلم أنّ(**لا**) وإن قبحت فربما اروحت، فإذا سئلت ما قدرت عليه فاطمع ولا توجب، وإذا علمت معذرة فاعتذر، فالإتيان بالعذر الجميل خير من المطل الطويل" [3].

الفصل التاسع:الإيثار والإكرام والمواساة

معنى الإيثار: الإيثار أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه وهو النهاية في الأخوة[1].

وقيل:هو أن تُفضّل نفس أخيك على نّفسك وتترك حظّك من الدّنيا ليستمتع بها أخوك المسلم .

---

[1]"محاضرات الأدباء " للأصفهاني (**1\256**).

[2]المصدر السابق.

[3]المصدر السابق.

[1]"التعريفات " للجرجاني (**1\59**).

معنى الإكرام: هو أن يوصل الى الانسان بنفع لا تلحقه فيه غضاضة أو يوصل إليه بشئ شريف[2].

معنى المواساة: أن ينزل غيره منزلة نفسه في النفع له والدفع عنه وهو في النهايةالأخوة[3].

قال الله تعالى﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر:9].

قال الإمام ابن الكثير –رحمه الله تعالى–:" يعني: حاجة، أي: يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدءون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك".اهـ.

عن أبي هريرة —رضي الله عنه–:أن رجلا بات به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه ؛ فقال لامرأته : نومي الصبية وأطفئي السراج وقربي للضيف ما عندك ؛ فنزلت هذه الآية [**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**][الحشر:9][4].

و عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ فِيهَا حَاشِيَتَاهَا قَالَ سَهْلٌ وَهَلْ تَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ قَالُوا نَعَمْ هِيَ الشَّمْلَةُ قَالَ نَعَمْ فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ نَسَجْتُ هَذِهِ بِيَدِي فَجِئْتُ بِهَا لِأَكْسُوَكَهَا فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فَخَرَجَ عَلَيْنَا وَإِنَّهَا لَإِزَارُهُ فَجَسَّهَا فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ رَجُلٌ سَمَّاهُ فَقَالَ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْبُرْدَةَ اكْسُنِيهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا دَخَلَ طَوَاهَا وَأَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ وَاللَّهِ مَا أَحْسَنْتَ كُسِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا فَقَالَ وَاللَّهِ إِنِّي مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهَا وَلَكِنْ سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا لِتَكُونَ كَفَنِي يَوْمَ أَمُوتُ قَالَ سَهْلٌ فَكَانَتْ كَفَنَهُ يَوْمَ مَاتَ "[1].

و عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنّ رَسُولَ اللَّهِ–صلّى الله عليه وسلّم– قَالَ: " مَا تَحَابَّ اثْنَانِ فِي اللَّهِ، إلا كَانَ أَفْضَلَهُمَا أَشَدُّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ " [2].

---

[2]"تاج العروس " للمرتضى الزبيدي (7874).

[3]"التعريفات " للجرجاني (1\304).

[4]الترمذي في " جامعه " وقال : هذا حديث حسن صحيح (5\260).

[1]احمد في "مسنده" (37\482) ، الطبراني " معجم الكبير " (6\150) .

[2]عبد الرزاق في "مصنفه" (23\392) ، السيوطي في " جمع الجوامع " (1\20759) ، البيهقي في " الآداب " (1\102).

و قال علي –رضي الله عنه– :" لعشرون درهما أعطيها أخي في الله أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين . وقال أيضا لأن أصنع صاعا من طعام وأجمع عليه إخواني في الله أحب إلى من أن أعتق رقبة"[3].

وجاء رجل إلى أبي هريرة–رضي الله عنه– وقال: إني أريد أن أواخيك في الله . فقال : أتدري ما حق الإخاء قال: عرفني ؟ قال : أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني . قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد. قال: فاذهب عني" [4].

قال ابن عمر رضي الله عنهما : " أهدي لرجل من أصحاب رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– رأس شاة فقال: أخي فلان أحوج مني إليه ، فبعث به إليه، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر ، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة"[5].

ودخل قوم على الحسن –رضي الله عنه– فقالوا : يا أبا سعيد أصليت ؟ قال: نعم . قالوا: فإن أهل السوق لم يصلوا بعد . قال : ومن يأخذ دينه من أهل السوق ! بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم ! قاله كالمتعجب منه"[6].

وَقَالَ " زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِرَجُلٍ: " هَلْ يُدْخِلُ أَحَدُكُمْ يَدَهُ فِي كُمِّ أَخِيهِ أَوْ كِيسِهِ فَيَأْخُذُ مِنْهُ مَا يُرِيدُ بِغَيْرِ إِذْنٍ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَسْتُمْ بِإِخْوَانٍ"[1].

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم –رحمه الله– وهو يريد بيت المقدس فقال: إني أريد أن أرافقك فقال له إبراهيم : على أن أكون أملك لشيئك منك . قال: لا ، قال: أعجبني صدقك ، قال: فكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب إلا من يوافقه . وصحبه رجل شراك فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ، ففتح جراب رفيقه ، وأخذ حزمة

---

(3) "قوت القلوب " لأبي طالب المكي (2\192).

(4) "احياء علوم الدين " لمحمد الغزالي (2\174).

(5) المصدر السابق.

(6) المصدر السابق.

(1) "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين " للحلاق القاسمي (1\130).

من شراك، وجعلها في القصعة ، وردها إلى صاحب الهدية ، فلما جاء رفيقه قال: أين الشراك ؟ قال : ذلك الثريد الذي أكلته ، إيش كان ؟ قال: كنت تعطيه شراكين أو ثلاثة، قال: إسمح يسمح لك ، وأعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير إذنه رجلا رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك. وجاء فتح الموصلي إلى منزل لأخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته فأخبرت الجارية مولاها فقال إن صدقت فأنت حرة لوجه الله سرورا بما فعل.

وروى أن مسروقا أدان دينا ثقيلا ، وكان على أخيه خيثمة دين، قال: فذهب مسروق ، فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم ، وذهب خيثمة ، فقضى دين مسروق وهو لا يعلم ، ولما آخى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم– بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع آثره بالمال والنفس ، فقال عبد الرحمن :" بارك الله لك فيهما"[(2)] .

وقال بعض الأدباء: لا تصحب من الناس إلاّ من كان على هذا الوصف: يكتم سرّك ، وينشر برّك ، ويطوي عيبك ، ويكون في النوائب معك ، وفي الرغائب يؤثر، فإن لم تجده فلا تصحب إلاّ نفسك، "[(3)].

و قال أبو سليمان الداربي –رحمه الله تعالى– :" لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقللتها له .

و قال أيضا :"إني لألقم اللقمة أخا من إخواني فأجد طعمها في حلقي"[(1)].

وقال أبو عثمان:(من عاشر الناس، ولم يكرمهم، وتكبر عليهم، فذلك لقلة رأيه وعقله؛ فإنه يعادي صديقه، ويكرم عدوه، فإن إخوانه في الله أصدقاؤه، ونفسه عدوه).

وَذَكَرَ الإمام أَحْمَدُ الدُّنْيَا فَقَالَ :" قَلِيلُهَا يُجْزِي وَكَثِيرُهَا لَا يُجْزِي وَقَالَ لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا حَتَّى تَكُونَ فِي مِقْدَارِ لُقْمَةٍ ثُمَّ أَخَذَهَا امْرُؤٌ مُسْلِمٌ فَوَضَعَهَا فِي فَمِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ لَمَا كَانَ مُسْرِفًا"[(2)].

[(2)] هذه الآثار أوردها الغزالي في إحيائه (1\174).

[(3)] "قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد " لأبي طالب المكي (2\376).

[(1)] "قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد "لأبي طالب المكي (2\376).

[(2)] "الآداب الشرعية والمنح المرعية" لشمس الدين المقدسي الراميني (2\251).

أخي المجاهد: ولوتأملنا الدنيا وأجرينا مقارنة معها ومع العصور الأُول التي عاش فيها الصّحابة ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة المفضّلة المشهود لهم بالخيرية على لسان نبيّنا محمّداً–صلّى الله عليه وسلّم– المطلوب منّا اقتداؤهم، نرى شرخاً كبيراً فيما بيننا ، وبوناً شاسعاً جلياً ، فماكان عندهم من الأولويات بات عندنا أدنى من نوافل الأقوال ، فمثلا أصبح الإيثار عندنا **شبه معدوم،** وأضحى الإكرام والمؤاساة **مستغرباً**،وانتشرت الشّكوك والشبه فيما بين العباد وساد الرّيب والغموض في أو ساط الأمّة، وطالت الألسنة إلى الآخرين حتى لم يُبق لهم ولاشيئاً من خصوصياتهم، نكثر القيل والقال وقلّما نتثبّت، قلّ المصلحون المسترون فينا وكثر المفسدون المخرّبون المهتكون، لانصيحة فينا –وإن وُجدت– فهي علانية خالية من الأدب والإحترام ، الإنتقام للنّفوس مقدّم عندنا في كثير من الأحيان من الإنتقام للدّين ، وإذا اختلفنا ولو بشيئ يسير يقبل الإختلاف ويسع لتباين الرُأى فقلّما نجى أحدنا من التّخوين والحكم عليه بالإرجاء أو التّكفير ، مقاطعة الأُخوة وعرقلة الصداقة أسهل لدى البعض من حفظها، وقلّ العلماء في أوساط الجهاد حبّاً للدنيا وطمعاً للإمارة وخوفاً من غطرة هبل العصر أمريكا بل يُطعن المجاهدون ويوصف بالخارجيّة والتكفير تقرّباً لأمريكا وحفظاً للبطاقة.

أليس لنا أن نتساءل : لماذا لانبحث لهفوات إخواننا المعاذير ، ولخطاباتهم تجاهنا كثيراً من الإحتمالات الصائبة ، ولم لا نُحمل كلامهم محمل الحسن والصّواب والجدّ ، ألم نسمع وصيّة نبيّنا محمد–صلّى الله عليه وسلّم–:"**أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ**"[1]. وفي رواية أُخرى " زلّاتهم".

أو لم نسمع قول الإمام العابد الزاهد عبدالله ابن المبارك –رحمه الله تعالى– حين قال :"**المؤمن يطلب لهفوات إخوانه المعاذير والمنافق يطلب العثرات**"[2].

---

[1] النسائي في " السنن الكبرى " (**8\161**) ، ابن رجب الحنبلي في " جامع العلوم والحكم " (**36\12**) ، ابي داود في "سننه " (**4\181**).

[2] الموالاة والمعادات في الشريعة الإسلامية **1\206**.

قال بعض الوزراء الصالحين لبعض من يأمرُ بالمعروف :"اجتهد أن تستُرَ العُصَاةَ ، فإنَّ ظهورَ معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام ، وأولى الأمور ستر العيوب، ومثل هذا لو جاء تائباً نادماً ، وأقرَّ بحدٍّ ، ولم يفسِّرْهُ ، لم يُستفسر ، بل يُؤمَر بأنْ يرجع ويستُر نفسه ، كما أمر النَّبيُّ – صلى الله عليه وسلم – ماعزاً والغامدية، وكما لم يُستفسر الذي قال :(**أصبتُ حدّاً** ، **فأقمه عليَّ**) ومثلُ هذا لو أخذَ بجريمته ، ولم يبلغِ الإمامَ ، فإنَّه يُشفع له حتّى لا يبلغ الإمام"[3].

عزيزي الغالي : المطلوب منّا فعله كثير لنُحسن وجه الإسلام المشرق الذي نُمثّله وننتمي إليه بل وندعوا إليه، حيث لم نحمل السلاح ولم نفارق الأهل والأولاد والملذّات إلا لأجله ، فلابد أن نطلق الغضب، والشّحناء، والتشاؤم ، والأنانية، والإستئثار ، طلاقاً بائناً لارجعة له، كما يجب علينا أن نّتصف بالكرم، والشّهامة، والحلم والإبتسامة، والتواضع ، والتضحية ، والفداء ، والإيثار ، وسلامة الصّدر ، والعفو ، والصبر ، والوفاء ، والتسامح والحبّ في الله ، والبغض في الله : لنُبرز وجه الإسلام المشرق ، ونكسب قلوب الآخرين بدون تكلّف وتعنّت ، ونُحيي سنّة نبيّنا محمد–صلّى الله عليه وسلّم–وصحبه، ولا تلتفتوا إلى الإنهزاميين والإنبطاييين أولئك المرضى وإن زعموا بالعلم وليكن شعاركم: القافلة تسير والكلاب ينبح.

وهل صحيح أنّ فينا من يقول : تركنا التّسامح والتصافح لأن لا نوصف أننا **إخوانيّون** ، وغفلنا الزّهد والورع لأن لايُقال بنا هُم أصحاب **تصوّف وشطحات** ، ونتسارع الحكم على الآخرين بالتّخوين والتّفسيق والإرتداد خشية أن يُتّهمنا الآخرون **بالإرجاء** ، نتشدّد على الآخرين ليُقال بنا قسماً حققوا مبدء **الولاء والبراء** .

ماهذه الأفهام القاصرة أيّها الاحباب– إن كانت فينا–، ألسنا عُبّاداً لله وحده ، وهل نحن أشدّاء على حفظ الدّين ودفاع بيضة الإسلام عن النبيّ–صلّى الله عليه وسلّم– وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين ، ماهي هذه الغلظة التي طالت إلى الإخوة وإلى أصحاب الميدان ، أمّاسمعنا قول نبيّنا

[3]"جامع العلوم والحكم " لابن رجب الحنبلي (**36\12**).

محمداً-صلّى الله عليه وسلّم-:"**إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، وَآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَلْيَنُهَا وَأَرَقُّهَا**"[(1)] .

وقوله – صلّى الله عليه وسلّم-:"**حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ**"[(2)].

وأخيراً أحبتي :لسنا ممن يُنكر الأخذ بالحذر كما لا نحن ممن يبالغون فيه ، لكننا نرى ونوصي أن يكون الأمن بين **الإفراط والتفريط**، حيث نفتح قلوبنا للإخوة ، ونطلق وجوهنا لهم ، ونلتقي معهم بأعصاب هادئة ، وعيون جذّابة ،وقلوب مسرورة ، وأن لاننسى أمنياتنا واحتياطاتنا ، متوكّلين على الله ثمّ آخذين بالأسباب ، فقد روت عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ-صلّى الله عليه وسلّم-فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: " **بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ** "، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلّم فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ، قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ: كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صلّى الله عليه وسلّم-:"**يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِنِي فَحَّاشًا، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ** " [(3)].

وقال محمد المغازلي -رحمه الله-:"من أحب أن تدوم له المودة، فليحفظ مودة إخوانه القدماء".

ما ذاقَتِ النَفسُ على شَهوةٍ　　　　أَلَذَّ مِن حُبِّ صَديقٍ أَمين

من فاتَهُ وُدُّ أَخٍ صالِحٍ　　　　فَذَلِكَ المَغبونُ حَقَّ اليَقين

أخي المجاهد :أُوصيك وصيّة صاحب رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم – التي أو صاها إلى بعض التابعين حينما زارهم في **البصرة**، يرويها لناحطان بن عبد الله السدوسي – رحمه الله تعالى- قائلا:" قدم علينا جندب بن عبد الله البصرة ، فلما أراد أن يخرج شيعناه إلى خص المكاتب ، فقلنا

---

(1) "التيسير بشرح الجامع الصغير " للمناوي (1\681)، " مسند الشاميين " للطبراني (2\19) ، " جمع الجوامع " للسيوطي (1\7795).

(2) ابن حجر في "إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي " (4\166)، أحمد في " مسنده " (7\53) ، التبريزي في " مرعاة المفاتيح " (3\125).

(3) البخاري في " صحيحه " (5\2244) ، السيوطي في "صحيح الجامع الصغير" (2\188).

له : يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أوصنا . فقال :"من استطاع منكم ألا يجعل في بطنه إلا طيبا فليفعل ، فإن أول ما ينتن من الإنسان بطنه، ومن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم امرئ مسلم يهريقه كأنما يذبح به دجاجة لا يأتي بابا من أبواب الجنة إلا حال بينه وبينه فليفعل ، وعليكم بالقرآن ؛ فإنه هدى النهار ونور الليل المظلم ، فاعملوا به على ما كان من جهد وفاقة فإن عرض بلاء فقدموا **أموالكم** دون دمائكم فإن تجاوزها البلاء فقدموا **دماءكم** دون دينكم ، فإن المحروب من حرب **دينه** ، وإن المسلوب من سلب **دينه**، إنه لا فقر بعد الجنة ،ولا غنى بعد النار ، إن النار لا يفك أسيرها ، ولا يستغني فقيرها ، والسلام عليكم"[1].

ولبعض الحكماء من السلف–رحمهم الله تعالى– :أنهم قالوا "عاشروا الناس، فإن عشتم حنوا إليكم، وإن متم بكوا عليكم"[2].

قال عبد الله بن محمد بن منازل –رحمه الله تعالى– :" المؤمن يطلب معاذير إخوانه والمنافق يطلب عثرات إخوانه" [3].

وعن أبي علي الثقفي–رحمه الله تعالى– أنه قال: سمعت حمدون القصار يقول:"إذا زل أخ من إخوانكم فاطلبوا له **سبعين عذراً**، فإن لم تقبله قلوبكم فاعلموا أن المعيب أنفسكم حيث ظهر لمسلم **سبعين عذراً** فلم تقبله" [1].

وذي جملة من الحِكَمِ تحثّنا على الإيثار والمواساة لننفع الآخرين:

1. زيّ الإبره تِكسي الناس وهيّ عريانَه (**كن كالإبرة**)

---

[1] "فضائل القرآن " لقاسم بن سلام 1\45.
[2] "آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة " لابن رضى الدين (1\32).
[3] البيهقي في " شعب الإيمان " (7\521)، في " بلوغ الأرب بتقريب الشعب " (2\230)، السلمي في " آداب الصحبة " (1\45).
[1] " بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب " لمحمد خلف سلامة (2\230).

2. زيّ الشمعةْ تحرق نفسها وتنوّرعلى غيرها(**كن كالشمعة**)

ظرائف الإيثار : أراد عابد الإفطار، فقدم قرصيه ليتعشى، وعرض له سائل فأعطاه إحداهما، ثم قال: ما ذاك مشبعه، وما هذا بمشبعي، ولأن يشبع أحد خير من أن يجوع اثنان، ثم ناوله القرص الآخر، فلما نام أُتي في منامه فقيل له: سل حاجتك، فقال المغفرة، فقيل له: أما هذه فقد أعطيتها فسل حاجتك، قال: أنَّ يغاث الناس"[2].

فذهب سعيد ابن المسيب إلى تلميذه عبد الله بن وداعه يتفقد حاله حيث غاب عن حلقة علمه فأخبره أنَّ زوجته ماتت فانشغل بتجهيزها، فقال له : استخلفت غيرها. قال : من أين يا شيخ ، ومن يزوج مثلى !!وأنا لا أملك إلا ثلاثة دراهم.قال:أنا أزوجك ابنتي ثم عقد له ومضى إلى بيته يقول عبد الله:فما بلغت البيت حتى دقَّ الباب.قلت : من ؟ قال : سعيد ، فخطر ببالي كل سعيد إلا ابن المسيب ففتحت الباب فإذا هو سعيد بن المسيب ثم تنحى فإذا خلفه ظلام ...قال : هذه زوجتك أحببت ألا تبيت عزباً ، ودفعها وأغلق الباب".[الأخوة أيها الإخوة(1\137)].

قَومي يظلُّ الضَّيفُ بينَ رِحالِهِمْ ... ماضي المشيئةِ مُؤثر الإيثارِ
متحكِّماً فيما أرادَ كأنَّما ... تَمضي إرادتُهُ على المقدارِ
وكأنَّ ربَّ الدَّارِ بعضُ عيالهِ ... وكأنَّهُ في الدَّارِ ربُّ الدَّارِ[3]

الفصل العاشر:الذّهاب إلى المساجد لحضور الجماعة

قال الله تعالى﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة:43].

قال الإمام ابن كثير–رحمه الله تعالى–:وقد استدل كثير من العلماء بهذه الآية على وجوب الجماعة.

وقال الإمام القرطبي– رحمه الله تعالى–:"قَوْلُهُ تَعَالَى: (**مَعَ الرَّاكِعِينَ**) " **مَعَ**" تَقْتَضِي الْمَعِيَّةَ وَالْجَمْعِيَّةَ وَلِهَذَا قَالَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ بِالْقُرْآنِ: إِنَّ الْأَمْرَ بِالصَّلَاةِ أَوَّلًا لَمْ يَقْتَضِ شُهُودَ الْجَمَاعَةِ

---

[2]"**الأمثال** "لابن سلام ص**32**.

[3]"**الحماسة المغربية**" للجراوي ص**74**.

فَأَمَرَهُمْ بِقَوْلِهِ" **مَعَ**" شُهُودِ الْجَمَاعَةِ ، وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي شُهُودِ الْجَمَاعَةِ عَلَى قَوْلَيْنِ، فَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ السُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ وَيَجِبُ عَلَى مَنْ أَدْمَنَ التَّخَلُّفَ عَنْهَا مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ الْعُقُوبَةُ. وَقَدْ أَوْجَبَهَا بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فَرْضًا عَلَى الْكِفَايَةِ .

قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: وَهَذَا قَوْلٌ صَحِيحٌ لِإِجْمَاعِهِمْ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُجْتَمَعَ عَلَى تَعْطِيلِ الْمَسَاجِدِ كُلِّهَا مِنَ الْجَمَاعَاتِ فَإِذَا قَامَتِ الْجَمَاعَةُ فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَاةُ الْمُنْفَرِدِ فِي بَيْتِهِ جَائِزَةٌ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أفضل من صلاة الفذ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ.

وَقَالَ دَاوُدُ: الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فِي خَاصَّتِهِ كَالْجُمُعَةِ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لَا صَلَاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إِلَّا فِي الْمَسْجِدِ) خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْحَقِّ، وَهُوَ قَوْلُ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَبِي ثَوْرٍ وَغَيْرِهِمْ.

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ: لَا أُرَخِّصُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَى الْجَمَاعَةِ فِي تَرْكِ إِتْيَانِهَا إِلَّا مِنْ عُذْرٍ حَكَاهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُاللَّهِ-صلّى الله عليه وسلّم-: (لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ فِتْيَتِي فَيَجْمَعُوا حُزَمًا مِنْ حَطَبٍ ثُمَّ آتِيَ قَوْمًا يُصَلُّونَ فِي بُيُوتِهِمْ لَيْسَتْ لَهُمْ عِلَّةٌ فَأُحَرِّقَهَا عَلَيْهِمْ). هَذَا مَا احْتَجَّ بِهِ مَنْ أَوْجَبَ الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ فَرْضًا وَهِيَ ظَاهِرَةٌ فِي الْوُجُوبِ وَحَمَلَهَا الْجُمْهُورُ عَلَى تَأْكِيدِ أَمْرِ شُهُودِ الصَّلَوَاتِ فِي الْجَمَاعَةِ بِدَلِيلِ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَحَمَلُوا قَوْلَ الصَّحَابَةِ وَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ مِنْ أَنَّهُ (لَا صَلَاةَ لَهُ) عَلَى الْكَمَالِ وَالْفَضْلِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ (فَأَجِبْ) عَلَى النَّدْبِ. وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (لَقَدْ هَمَمْتُ) لَا يَدُلُّ عَلَى الْوُجُوبِ الْحَتْمِ لِأَنَّهُ هَمَّ وَلَمْ يَفْعَلْ وَإِنَّمَا مَخْرَجُهُ مَخْرَجُ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَخَلَّفُونَ عَنِ الْجَمَاعَةِ وَالْجُمُعَةِ.

وقَالَ الْقَاضِي أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضٌ: اخْتُلِفَ فِي التَّمَالُؤِ عَلَى تَرْكِ ظَاهِرِ السنن، هل يقاتل عليها أولا، وَالصَّحِيحُ قِتَالُهُمْ، لِأَنَّ فِي التَّمَالُؤِ عَلَيْهَا إِمَاتَتَهَا.

قُلْتُ(اي القرطبي): فَعَلَى هَذَا إِذَا أُقِيمَتِ السُّنَّةُ وَظَهَرَتْ جَازَتْ صَلَاةُ الْمُنْفَرِدِ وَصَحَّتْ "[1].

---

[1] جميع هذه الأقوال أوردها القرطبي في تفسيره للآية ، فمن أراد المزيد فليراجع تفسيره للآية ففيه خير وبركة- إن شاء الله-.

وقال الخطابي بعد ذكر حديث ابن أم مكتوم :" وفي هذا دليل على أن **حضور الجماعة** واجب ولو كان ذلك ندبا لكان أولى من يسعه التخلف عنها أهل الضرورة والضعف ومن كان في مثل حال ابن أم مكتوم وكان عطاء بن أبي رباح يقول ليس لأحد من خلق الله في الحضر وبالقرية رخصة إذا سمع النداء في أن يدع الصلاة ".

وقال الأوزاعي : لا طاعة للوالد في ترك **الجمعة والجماعات**.

أخي المجاهد:حضور الجماعة واجب ربّانيٌ ، وسنّة نبويّة مؤكدة كما هو مقرّر لدى العلماء ، لهذا لاينبغي الإستخفاف بها ولا الإستهانة ولا التخلّف منها إلا من له عذر شرعيّ معتبر مثل: المرض، والخوف، لاسيّما خوف أولئك المطلوبون حيّاً وميّتاً المفروض على رقابهم ملايين من الدّولارات من قِبل **هُبل العصر** ، فبمثلهم يجوز لهم الصّلاة في مخابئهم وتحت كهوفهم وبيوتهم الأمنية المجهولة لأن لاتتضرر الأمّة بفقدانهم أولا ، ويحفظوا نفوسهم للمسلمين ثانياً ، حيث الحفاظ على النّفس **فرض عين** والذّهاب إلى المساجد لحضور الجماعة **فرض كفاية** وتحصيل فروض الأعيان مقدّم على تحصيل فروض الكفائيات كما هو مقرّر لدى الأصوليين والله اعلم.

وأمّا علينا كبقية الإخوة -المجاهدين وغير المجاهدين- البذار البذار لحضور الجماعات ، والسّعي السّعي لإجابة المنادي من حيث يُنادي بنا ، لتقتدي بنا الأُمّة لأنّنا طليعتها في كلّ شيئ ، ومرآتها في العبادات العملية والشعائر العبادية ، وعلينا التّسابق إلى الصّفوف الأُول لتصدق أقوالنا أفعالنا ، وننزلها إلى أرض الواقع .

أما أن ندعو النّاس إلى المساجد ، ونجرّهم إليها ، ونضربهم في بعض الأحايين إذا قصّروا من الوصول إلى المساجد وشهود الجماعات ، ونُصلّي في البيوت ، وفي المراكز ، والنُقاط ، وبدون جماعة فينا ، والمساجد غير بعيدة عنّا ، فهذا عار علينا ، ومخالفة صريحة لهدي النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم- وتباين بين الآراء والأفعال ، ويُخشى علينا مقت ربّنا جلّ في علاه حيث خالفت

أفعالنا أقوالنا ، قال الله تعالى﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ [الصف: 2-3].

وأخيراً أحبّتي: أُذكّركم على أنّه لادين بدون جماعة، ولاجماعة بدون سمع وطاعة ، ومن أساسيات الجماعة وقواعدها الأساسية وبنيتها التحتية وأول لبناتها "**أداء الصلاة بجماعة**" حتى وإن كنّا في السفر، أو الجبهات، أو الحواجز الأمنية ، أو المراكز ، أو الثغور ، فلابدّ أن نُصلّيها بالجماعة لأنّ الشيطان مع الواحد أقرب ومع الجماعة أبعد، ويقول نبيّنا محمد-صلّى الله عليه وسلّم-:"مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ"[1].

واعلموا أنّ البركة في الجماعة ، وأنّ يد الله معها، وأنّ الشيطان أبعد منها، حيث يكون مع الواحد ، راكضاً إليه ، فارّاً من الجماعة ، فمن أحبّ أن يكون الشيطان قريبه ، ويكون معرّضاً لسرقات الشيطان وخلساته ، وأن يُصلّي صلاة فيها الوسواس أكثر من الخشوع ، فليتباعد عن المساجد ، ولايحضر الجمعة ولا الجماعة ،وغداً لايلومنّ إلا نفسه، لكنّنا نُذكره أقوال الصّحابة علّ نفسه تتوب وسوف تسوقه إلى المساجد ومجاميع المسلمين -إن كان في نفسه بقيّة من خير -رُوِّي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ أَنَّهُمَا قَالا:"مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ، ثُمَّ لَمْ يُجِبْ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ، فَلا صَلاةَ لَهُ"[1].

وعَنِ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ:"مَنْ كَانَ جَارَ الْمَسْجِدِ فَسَمِعَ الْمُنَادِىَ يُنَادِى فَلَمْ يُجِبْهُ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ فَلاَ صَلاَةَ لَهُ"[2] .

وَرُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: لا صَلاةَ لِجَارِ الْمَسْجِدِ إلا فِي الْمَسْجِدِ[3].

---

[1] ابن خزيمة في "صحيحه " (4\369) ، ابي داود في "سننه" (1\181) ، احمد في "مسنده " (6\446)، الحاكم في " مستدركه " (4\73).

[1] ابن ابي شيبة في " مصنفه " (14\143).

[2] الدار قطني في "سننه " (2\43).

[3] البيهقي في " السنن الكبرى " (3\57)، الدار قطني في " سننه " (1\419) ، ابن حجر في "فتح الباري " (2\244) وأشار أنه ضعيف .

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ:"مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ، فَلَمْ يُجِبْ لَمْ يُرِدْ خَيْرًا، وَلَمْ يُرَدْ بِهِ"[4].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ:"لأَنْ تَمْتَلِئَ أُذُنَا ابْنِ آدَمَ رَصَاصًا عَذَابًا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْمَعَ الْمُنَادِيَ، ثُمَّ لا يُجِيبَهُ"[5].

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ رَجُلٍ يَصُومُ النَّهَارَ، وَيَقُومُ اللَّيْلَ لا يَشْهَدُ جُمُعَةً، وَلا جَمَاعَةً، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ فِي النَّارِ " [6].

وهاهو رسولنا يقول:"مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَارِغًا صَحِيحًا فَلَمْ يُجِبْ فَلا صَلاةَ لَهُ "[7].

وقال المباركفوري – رحمه الله تعالى :"وقال بعض أهل العلم هذا على التغليظ والتشديد، يعني أن قول الصحابة : (من سمع النداء فلم يجب فلا صلاة له)ليس على ظاهره بل هو محمول على التغليظ والتشديد"[8].

أراك تتساءل : هل من أعذار تُبيح للمسلم التخلّف عن الجماعة ؟

الجواب : نعم – عزيزي الغالي – هناك أعذار وضروريات لأنّ الدّين مبنيٌّ على جلب المصالح ودرء المفاسد ، ومن أعظم المفاسد أن لا يُوجد مخرجاً عند الضيق ، وإنّ ربّي – جلّ جلاله وتقدّست كلماته – لم يجعل علينا الدين حرجاً ، لكنّ الأعذار منضبطة في الشّرع وليست مطلقة.

ويقول العلماء – رحمهم الله تعالى– :الأعذار التي تبيح التخلف عن صلاة الجماعة : منها ما هو عام ، ومنها ما هو خاص .

وبيان ذلك فيما يلي :

أولا : الأعذار العامة :

أ – المطر الشديد الذي يشق معه الخروج للجماعة ، والذي يحمل الناس على تغطية رءوسهم .

---

[4] ابن ابي شيبة في " مصنفه " (**14\143**).

[5] المصدر السابق.

[6] الترمذي في " سننه " (**1\93**)، " مسند الصحابة في الكتب التسعة " (**29\412**)، " كنز العمال " للمتقى الهندي (**32\49**).

[7] الحاكم في " مستدركه " (**1\324**) ، مباركفوري في " تحفة الأحوذي " (**2\291**).

[8] المصدر السابق.

ب – الريح الشديدة ليلا لما في ذلك من المشقة .

ج – البرد الشديد ليلا أو نهارا ، وكذلك الحر الشديد . والمراد البرد أو الحر الذي يخرج عما ألفه الناس أو ألفه أصحاب المناطق الحارة أو الباردة .

د – الوحل الشديد الذي يتأذى به الإنسان في نفسه وثيابه ، ولا يؤمن معه التلوث .

قَالَ أَبُو يُوسُفَ سَأَلْت أَبَا حَنِيفَةَ عَنْ الْجَمَاعَةِ فِي طِينٍ وَرَدْغَةٍ فَقَالَ:لَا أُحِبُّ تَرْكَهَا"[1].

قال ابن عابدين:وفي شرح الزاهدي:اختلف في كون الأمطار والثلوج والأوحال والبرد الشديد عذرا ، وعن أبي حنيفة : إذا اشتد التأذي يعذر[2] ، وفي وجه عند الشافعية – وهو مقابل الصحيح – أن الوحل ليس بعذر [3]، والصحيح أنه عذر[4] .

هـ – الظلمة الشديدة:الْمُرَادَ بِشِدَّةِ الظُّلْمَةِ كَوْنُهُ لَا يُبْصِرُ طَرِيقَهُ إلَى الْمَسْجِدِ فَيَكُونُ كَالْأَعْمَى، والظَّاهِرِ أَنَّهُ لَا يُكَلَّفُ إلَى إيقَادِ نَحْوِ سِرَاجٍ وَإِنْ أَمْكَنَهُ ذَلِكَ[1] .

والدليل على كون الأعذار السابقة من مطر وغيره تبيح التخلف عن الجماعة هي هذه الأحاديث الواردة الثابتة عن النبي –صلّى الله عليه وسلّم–والتي منها :

ما روي عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ نَادَى بِالصَّلاَةِ فِى لَيْلَةٍ ذَاتِ بَرْدٍ وَرِيحٍ وَمَطَرٍ فَقَالَ فِى آخِرِ نِدَائِهِ أَلاَ صَلُّوا فِى رِحَالِكُمْ أَلاَ صَلُّوا فِى الرِّحَالِ.

ثُمَّ قَالَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ أَوْ ذَاتُ مَطَرٍ فِى السَّفَرِ أَنْ يَقُولَ أَلاَ صَلُّوا فِى رِحَالِكُمْ[2].

---

[1]"تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق" (2\150).
[2]"رد المختار " (4\237).
[3]"الحاوي الكبير " لأبي الحسن الماوردي (2\910).
[4]" المجموع " للإمام النووي (4\204).
[1]" رد المختارة " (4\228).
[2]مسلم في " صحيحه " (2\147) ، " عون العبود بشرح سنن أبي داود " (30\337).

وعَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَبّاسٍ أَنّهُ قَالَ، لِمُؤَذّنِهِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ: إِذَا قُلْتَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله أَشْهَدُ أَنّ مُحَمّداً رَسُولُ اللّهِ، فلاَ تَقُلْ: حَيّ عَلَى الصّلاَةِ. قُلْ: صَلّوا فِي بُيُوتِكُمْ.

قَالَ: فَكَأَنّ النّاسَ اسْتَنْكَرُوا ذَاكَ. فَقَالَ: أَتَعْجَبُونَ مِنْ ذَا؟ قَدْ فَعَلَ ذَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنّي. إِنّ الْجُمُعَةَ عَزْمَةٌ. وَإِنّي كَرِهْتُ أَنْ أُحْرِجَكُمْ فَتَمْشُوا فِي الطّينِ وَالدّحْضِ[3] .

ثانيا : الأعذار الخاصة :

أ – المرض : وهو المرض الذي يشق معه الإتيان إلى المسجد لصلاة الجماعة .

قَالَ ابن المنذر –رحمه الله تعالى– :"ولا أعلم اختلافاً بَيْن أهل العلم أن للمريض أن يتخلف عَن الجماعات من أجل المرض"[4]اهـ.

وثبت أن النبي –صلى الله عليه وسلم– لما مرض تخلف عن المسجد ، وقال : « مروا أبا بكر فليصل بالناس » وإنما خرج إلى المسجد لما وجد من نفسه الخفة[5] .

ب – الخوف :وهو عذر في ترك الجماعة ؛ لما روى ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :« من سمع النداء ، فلم يمنعه من اتباعه عذر ، قالوا : وما العذر يا رسول الله ؟ قال : خوف أو مرض ، لم تقبل منه الصلاة التي صلى »[1].

والخوف ثلاثة أنواع [2]: خوف على النفس ، وخوف على المال ، وخوف على الأهل .

الأول : أن يخاف على نفسه سلطانا يأخذه ، أو عدوا[3]أو لصا أو سبعا أو دابة أو سيلا أو نحو ذلك مما يؤذيه في نفسه ، وفي معنى ذلك أن يخاف غريما له يلازمه ، ولا شيء معه يوفيه ؛ لأن حبسه بدين هو معسر به ظلم له .

---

[3]مسلم في " صحيحه " (2\147) .

[4]" فتح الباري " لابن حجر (7\57).

[5]المصدر السابق.

[1]ابي داود في " سننه " (1\216) ، البيهقي في " سننه " (3\75) ، التبريزي في " مصباح المشكاة " (1\235).

[2]" المغني " لابن قدامة المقدسي (1\692) ، " الموسوعة الفقهية الكويتية " (28\192).

[3]ولاسيما في هذه الأيام التي اعلن الكفار بغطرستهم أموالا باهظة على رقاب جلّة قادة الجهاد لإفشال المشروع الجهادي ولإعماء الأمة.

الثاني : أن يخاف على ماله من ظالم أو لص ، أو يخاف أن يسرق منزله أو يحرق منه شيء ، أو يكون له خبز في تنور أو طبيخ على نار ، ويخاف حريقه باشتغاله عنه ، أو يكون له غريم إن ترك ملازمته ذهب بماله ، أو يكون له بضاعة أو وديعة عند رجل وإن لم يدركه ذهب ، أو كانت عنده أمانة كوديعة أو رهن أو عارية مما يجب عليه حفظه ، ويخاف تلفه بتركه . ويدخل في ذلك الخوف على مال الغير .

الثالث : الخوف على الأهل : من ولد ووالد وزوج إن كان يقوم بتمريض أحدهم ، فإن ذلك عذر في التخلف عن الجماعة .

ومثل ذلك : القيام بتمريضه الأجنبي إذا لم يكن له من يقوم بتمريضه ، وكان يخشى عليه الضياع لو تركه ، وقد ثبت أن ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما – استصرخ على سعيد بن زيد ، وهو يتجمر للجمعة ، فأتاه بالعقيق ، وترك الجمعة .

ج – حضور طعام تشتاقه نفسه وتنازعه إليه :قال ابن قدامة : إذا حضر العشاء في وقت الصلاة فالمستحب أن يبدأ بالعشاء قبل الصلاة ؛ ليكون أفرغ لقلبه وأحضر لباله ، ولا يستحب أن يعجل عن عشائه أو غدائه ، فإن أنسا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا قرب العشاء وحضرت الصلاة فابدءوا به قبل أن تصلوا صلاة المغرب ، ولا تعجلوا عن عشائكم » ، ولا فرق بين أن يخاف فوت الجماعة أو لا يخاف ، فإن في بعض ألفاظ حديث أنس : « إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء » وعن ابن عمر – رضي الله تعالى عنهما – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء ولا يعجلن حتى يفرغ منه » . وتعشى ابن عمر وهو يسمع قراءة الإمام [1].

وقال ابن قدامة – رحمه الله تعالى–: قال أصحابنا : إنما يقدم العشاء على الجماعة إذا كانت نفسه تتوق إلى الطعام كثيرا ، ونحوه قال الشافعي .

---

[1]" المغني " لابن قدامة (1\691).

وقال بظاهر الحديث عمر وابنه وإسحاق وابن المنذر .

وقال ابن عباس : لا نقوم إلى الصلاة وفي أنفسنا شيء .

قال ابن عبد البر : أجمعوا على أنه لو صلى بحضرة الطعام فأكمل صلاته أن صلاته تجزئه [(2)].

د – مدافعة أحد الأخبثين :ومثلهما الريح ، فإن ذلك عذر يبيح التخلف عن الجماعة ، قالت السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها – : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا صلاة بحضرة طعام ، ولا هو يدافعه الأخبثان » رواه مسلم .

ولأن القيام إلى الصلاة مع مدافعة أحد الأخبثين يبعده عن الخشوع فيها ويكون مشغولا عنها.

قال النووي –رحمه الله تعالى-:" في هذه الأحاديث كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يريد أكله لما فيه من اشتغال القلب به وذهاب كمال الخشوع وكراهتها مع مدافعة الأخبثين وهما البول والغائط، ويلحق بهذا ما كان في معناه مما يشغل القلب ويذهب كمال الخشوع، وهذه الكراهة عند جمهور أصحابنا وغيرهم إذا صلى كذلك وفي الوقت سعة، فإذا ضاق بحيث لو أكل أو تطهر خرج وقت الصلاة صلى على حاله محافظة على حرمة الوقت ولا يجوز تأخيرها[(3)].

هـ – أكل ذي رائحة كريهة : وذلك كبصل وثوم وكراث وفجل إذا تعذر زوال رائحته ، فإن ذلك عذر يبيح التخلف عن الجماعة ، حتى لا يتأذى به الناس والملائكة ؛ لحديث : « من أكل من هذه البقلة : الثوم – وقال مرة : من أكل البصل والثوم والكراث – فلا يقربن مسجدنا ؛ فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » .متفق عليه.

والمراد أكل هذه الأشياء نيئة ، ويدخل في ذلك من كانت حرفته لها رائحة مؤذية ، كالجزار والزيات ونحو ذلك . ومثل ذلك من كان به مرض يتأذى به الناس ، كجذام وبرص ، ففي كل ذلك يباح التخلف عن الجماعة .

[(2)] المصدر السابق.

[(3)] " المنهاج شرح صحيح مسلم ابن الحجاج " (16\65).

قال الإمام النووي –رحمه الله تعالى – :" هذا تصريح بنهي من أكل الثوم ونحوه عن دخول كل مسجد، وهذا مذهب العلماء كافة إلا ما حكاه القاضي عياض عن بعض العلماء أن النهي خاص في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم في بعض روايات مسلم: "فلا يقربن مسجدنا" وحجة الجمهور فلا يقربن المساجد، ثم إن هذا النهي إنما هو عن حضور المسجد لا عن أكل الثوم والبصل ونحوهما فهذه البقول حلال بإجماع من يعتد به. وحكى القاضي عياض عن أهل الظاهر تحريمها لأنها تمنع عن حضور الجماعة وهي عندهم فرض عين. وحجة الجمهور قوله صلى الله عليه وسلم في أحاديث الباب: "كل فإني أناجي من لا تناجي" وقوله صلى الله عليه وسلم: "أيها الناس إنه ليس لي تحريم ما أحل الله لي" قال العلماء: ويلحق بالثوم والبصل والكراث كل ما له رائحة كريهة من المأكولات وغيرها. قال القاضي: ويلحق به من أكل فجلاً وكان يتجشى، وقال: وقال ابن المرابط: ويلحق به من به بخر في فيه أو به جرح له رائحة. قال القاضي: وقاس العلماء على هذا مجامع الصلاة غير المسجد كمصلى العيد والجنائز ونحوها من مجامع العبادات، وكذا مجامع العلم والذكر والولائم ونحوها، ولا يلتحق بها الأسواق ونحوها. قوله صلى الله عليه وسلم: "من أكل من هذه الشجرة" وفي الرواية الأخرى: "من هذه البقلة" فيه تسمية الثوم شجراً وبقلاً، قال أهل اللغة: البقل كل نبات أخضرت به الأرض"[1].

و – **العري** : فمن لم يجد ما يستر ما بين السرة والركبة فإنه يباح له التخلف عن الجماعة .
وهذا إذا كان من عادة أمثاله الخروج بمثل ذلك ، قال الشافعية وبعض المالكية : الأليق بالحنيفية السمحة : أنه إن وجد ما يليق بأمثاله خرج للجماعة ، وإلا فلا [2].

ز – **العمى** : اعتبر الحنفية أن العمى عذر يبيح التخلف عن الجماعة وإن وجد قائدا .

---

[1] " المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج" (**16\68**).

[2] كما في " الموسوعة الفقهية الكويتية" (**28\192**).

ولم يعتبره جمهور الفقهاء عذرا إلا أن لا يجد قائدا ، ولم يهتد للطريق بنفسه [3].

ح – إرادة السفر :من تأهب لسفر مباح مع رفقة ، ثم أقيمت الجماعة ، وكان يخشى إن حضر الجماعة أن تفوته القافلة ، فإنه يباح له التخلف عن الجماعة .

ط – غلبة النعاس والنوم :فمن غلبه النعاس والنوم إن انتظر الجماعة صلى وحده[4].

وكذلك لو غلبه النعاس مع الإمام ؛ لأن « رجلا صلى مع معاذ ، ثم انفرد فصلى وحده عند تطويل معاذ ، وخوف النعاس والمشقة ، فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم حين أخبره » ، والأفضل الصبر والتجلد على رفع النعاس والصلاة جماعة .

ي – زفاف الزوجة :فزفاف الزوجة عذر يبيح للزوج التخلف عن صلاة الجماعة ، وذلك كما يقول الشافعية[5] والحنابلة ،لكن الشافعية قيدوه بالتخلف عن الجماعة في الصلوات الليلية قط وأما المالكية فلم يعتبروا ذلك عذرا ، وخفف مالك للزوج ترك بعض الصلاة في الجماعة للاشتغال بزوجه والسعي إلى تأنيسها واستمالتها .

ك – ذكر الحنفية من الأعذار التي تبيح التخلف عن الجماعة : **الاشتغال بالفقه** ، لا بغيره من العلوم ، كما ذكر الشافعية أنّه من الأعذار : **السمن المفرط** [1].

فعن أنس بن سيرين قال : سمعت أنس بن مالك قال : قال رجل من الأنصار – وكان ضخما – للنبي صلى الله عليه و سلم :(إني لا أستطيع الصلاة معك فلو أتيت منزلي فصليت فيه فأقتدي بك فصنع الرجل له طعاما ودعاه إلى بيته فبسط له طرف حصير لهم فصلى عليه ركعتين قال : فقال

---

[3]" حاشية البجيرمي على الخطيب " (5\83).

[4]" نهاية الزين شرح قرة العين "(1\208).

[5]"مغني المحتاج إلى معرفة الفاظ المنهاج " (3\205).

[1]" مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج " للشربيني (3\205).

فلان بن الجارود لأنس:أكان النبي صلى الله عليه و سلم يصلي الضحى ؟ قال ما رأيته صلاها غير ذلك اليوم)[2].

الخاتمة

لستُ من أهل العلم المتبحّرين في هذا الفنّ حتى أُبرز جميع ما في ذهني من الطموحات ، أو أطرح جُلّ ما في قلبي من الخواطر والفكر والرُؤى ، لكنّ نفسي أبت أن تكون مكتوفة الأيادي أمام ماتراه من التّقصير ات والهفوات سيّما تلك التّقصيرات التي تحدث في أرض الجهاد صادرة ممن أكرمهم الله وشرّفهم بأن يكونوا مرآة الأمّة (**الطّليعة المجاهدة**) – مدركين أو غير مدركين بها– لهذا تسرّعتُ إلى اخراج هذا الكتاب مستعينا بالله ثمّ بأغلب الكتب التي تحدّثت عن هذا المجال والتي وُفقتُ بإيجادها وتيسّرت لي – ولله الحمد– ، كما لا أنسى –وأنا لا استطيع أن أعطيه حقّه

[2]رواه ابن حبان في " صحيحه" (5\426) وقال: إسناده صحيح على شرط البخاري.

المستحق علي – مساعدة أخي (**عبيد الله المجبري الأنصاري**) الذي لم يُقصّر عن توجيهي ولم يبخل بترشيدي ، وله الفضل بعد الله أن يخرج هذا الكتاب بهذه الصورة الجميلة البرّاقة — إن شاء الله– فجزاه الله خيراً عما قام به وقدّم من التصحيح والتوجيه والإرشاد والتقويم والتصويب والتهذيب.

وأُقدّم عرفاني وتقديري للأخ (**فرحان الأنصاري**) الذي قام بتصميم الكتاب تصميماً رائعاً جذّاباً،

والشكر والتقدير والإحترام والعرفان موصول إلى كلّ من أسدى لي نصيحة أو شجعني بإخراج هذا الكتاب أولئك الجهابذة الذين لا أستطيع حصر اسمائهم في هذه الورقات وفي هذه العجالة ، فجزاهم الله خيراً وجمعنا معاً في الفردوس الأعلى من الجنان.

وأخيراً توصلنا على :

أ– أنّه لا عمل يقبل عند الله حتى تتوفر فيه شرطان هما: الإخلاص والمتابعة.

ب– أنّ العلم قبل القول والعمل بدليل قوله تعالى[**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**][محمد:19].

ت– أنّ التقوى وحسن الخلق يُدخل الجنّة ويُستحق بهما رضوان الله جلّ جلاله.

ث– أنّ الصدق يهديك إلى الجنّة وأنّ الكذب يهديك إلى النّار — والعياذ بالله–.

ج– أنّ حقيقة الصبر هي: الصبر على طاعة الله، والصبر عن المعاصي ، والصبر على الأقدار.

ح– أنّ الحلم والأناة والتواضع والتأنّي صفات حميدة يحبّهم الله ورسوله والمؤمنون.

خ– أنّ الظلم والعجب بالنّفس والكبر والإستخفاف بالآخرين والتعالي على الآخرين والتّفاخر بالأنساب خصال جاهلية يُبغضهم الله ورسوله والمؤمنون، لا يتّصف بهم مؤمن كامل الإيمان .

د– أنّ الوفاء بالعهود ، والإنجاز بالوعود ، والحفظ بالمواثيق والأمان، صفات محمودة محبوبة، يُحمد فاعله ، ويُذمّ تاركه ، وأنّ العهود تكون فيما بين العبد وربّه ، أو فيما بين العباد ، أو فيما بين العبد ونفسه ، كما أنّ الظلم يكون : ظلم العبد لربّه ، وظلم العبد لنفسه ، وظلم العباد فيما بينهم ، وكلّها محرّمة بقول الله تعالى فيما يرويه عنه نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلّم (**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ مُحَرَّمًا بَيْنَكُمْ فَلا تَظَالَمُوا**).

ذ– أنّ الإيثار والكرم والمواساة في وقت الحاجة والفاقة صفات نادرة وشهامة فريدة لأهل الإيمان الكامل ، وأنّه ما اتّصفت بهم أُمّة إلا ارتفع شأنها ، ودام عزّها ، وخلد ملكها.

ر– أنّ (**صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاَةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**)، كما أنّ أداء الصلاة بالجماعة علامة ببقاء وحدة الأمّة وتلاحمها ، كما أنّها وقبل كلّ هذا عبادة نسك وقربان إلى الله فهي كذلك مظهر تعزّ لرؤيته النّفوس ، وتستقرّ لمشاهدته القلوب ، وتطمئنّ لحضوره الفؤاد، ولا يتخلّف عنها إلا منّافق معلوم النفاق أو من له عذر شرعيٌّ معتبرة .

وختاماً: فأنا لا أشكّ في أنّ الكثير والكثير مما كان يجب أن يُضمّ إلى هذا الكُتيب أوكان ينبغي أن يُضاف إليه لم أُفلح في ضمّه أولم أتمكن في إضافته، إما لضيق الوقت ، أو خوفاً من التكرار، أو سهواً عن حكم وعبارات ذات العلاقة مع الموضوع، أو جهلا وتقصيراً مني.

وعُذري أنّني بشر ، قليل العلم ، ومن طبيعة البشر النّقصان، وحسبي أنّي أردتُّ أن تكون هذه **لفتة نظر** لمن له باع في هذا الفنّ ،**وصفارة إنذار** للمتخصصين بهذا الفنّ العميق، ليُعالجوا تلك الأمراض التي نُعانيها طيلة أعوام عديدة وأزمنة مديدة.

وما أجمل ماقاله الشّافعيّ – رحمه الله تعالى- وأحبّ أن أختم به كُتيبي هذا ، وذلك عندما راجع كتابه **الرّسالة** ثمانين مرّة ، ثمّ قال لتلميذه **المزني** في النّهاية:(**هيه..أبى الله أن يكون كتاباً صحيحاً غير كتابه**)[1].

والله أسأل أن يوفّق قومنا للصّالحات قصيّهم والدّاني
ويُعيد للإسلام سالف مجده في وحدة مشدودة الأركان
وعلى الطّريق المستقيم يسوسنا عدل يُبارك عدله العمران

وإنّي داع فأمّنوا:

يارب اجعل هذا الكتاب خالصاً لوجهك الكريم، وانفع به على من قرءه ، وأجر على من نشره وارحم بمن أسدى إلي خطئي، وكثّر حسنات من صحّح أخطائي الواردة في طيّات الكتاب ، ووفّق من صوّب زلّاتي فيه ، وافتح اللهم للكتاب قلوب عبادك الموحدين المجاهدين في مشارق الأرض ومغاربها، واكتب اللهمّ لهذا الكتاب قبولا حسناً غير مفتون، واغفر لي هفوات لساني وشطحات قلمي، وخلجات قلبي وعثرات خواطري ، وسوء طموحاتي وكثرة رغباتي التي لا تصبُّ لصالح الإسلام .

اللهمّ تقبّل شهداءنا ، وفكّ أسرانا ، وداوي جرحانا ، واشف مرضانا ، وانصرنا على القوم الكافرين ، وثبّت أقدامنا إن لقينا عدوّنا ، واختم حياتنا شهادة في سبيلك ياربّ يارحمن .

---

[1] حاشية ابن عابدين :1\29.

اللهمّ إننا ضعفاء عند العمل بطاعتك فارزقنا النشاط فيها والقوة عليها ، ولا تجعلنا من الغافلين، اللهم اجعلنا عندك عظماء ، وفي نفوسنا متواضعين ، وعند اخواننا محبوبين مهابين .

اللهم اعذنا من الأسر ، ونجنا غيلة المغتالين ، واسترنا عيون المتجسّسين ، ورزقنا شهادة خالصة في سبيلك مقبلين غير مدبرين ، محتسبين صابرين ، ولا تأخذنا غرّة ،واحسن خاتمتا في الأمور كلّها ، يا مقلّب القلوب ثبّت قلوبنا عل دينك .

ولن يسعني سوى أن أقول:

الحمد لله على التمام ثم الصلاة مع سلام شائع

في البدء والختام والدوام على النبي وصحبه والتابع

المؤلّف: معلم يعقوب العمري

تم التفرّغ منه : صبيحة الجمعة 9 من ربيع الثاني لعام 1436هـ.

جلب\ ولاية جوبا الإسلامية\الصّومال(بلاد الهجرة والجهاد).

ثبت المصادر والمراجع

الرقم	الكتاب	المؤلف	تاريخ المؤلف
.1	جامع البيان في تأويل القرآن.	محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري	[المتوفي:310 هـ]
.2	تفسير القرآن العظيم.	أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي	(المتوفى: 774هـ)
.3	تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان .	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي	(المتوفى: 1376هـ)

.4	روائع التفسير.	زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي	(المتوفى: 795هـ)
.5	التحرير والتنوير.	محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي	(المتوفى: 1393هـ)
.6	تفسير القرآن الكرم (تفسير القيم) .	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية	(المتوفى: 751هـ)
.7	تفسير القرآن العظيم.	أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم	(المتوفى: 327هـ)
.8	تفسير عبد الرزاق.	أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني	(المتوفى: 211هـ)
.9	تفسير الثوري.	أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي	(المتوفى: 161هـ)
.10	تفسيرالتستري.	أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري	(المتوفى: 283هـ)
.11	تفسير البغوي.	محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي	(المتوفى: 510هـ)
.12	تفسير ابن المنذر	أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري	(المتوفى: 319هـ)
.13	الجامع لأحكام القرآن.	أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي	(المتوفى: 671هـ)
.14	تفسير مقاتل ابن سليمان	أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى	(المتوفى: 150هـ)
.15	تفسير الرازي(مفاتيح الغيب).	أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري	(المتوفى: 606هـ)
.16	أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن	محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي	(المتوفى : 1393هـ)
.17	السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير	شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي	(المتوفى: 977هـ)
.18	صحيح البخاري	محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي	
.19	صحيح مسلم	الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري	(المتوفى: 261هـ)
.20	سنن الترمذي	محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى	(المتوفى: 279هـ)
.21	سنن أبي داود	أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني	(المتوفى: 275هـ)
.22	سنن ابن ماجة	ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد	(المتوفى: 273هـ)
.23	سنن النسائي	أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي	(المتوفى: 303هـ)

.24	مسند الإمام أحمد بن حنبل	أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني	(المتوفى: 241هـ)
.25	مسند ابن الجعد.	علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي	(المتوفى: 230هـ)
.26	مسند الشهاب	أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري	(المتوفى: 454هـ)
.27	مسند الإمام أبو حنيفة	أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني	(المتوفى: 430هـ)
.28	مسند إسحاق ابن راهويه(مسند ابن عباس)	أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ ابن راهويه	(المتوفى: 238هـ)
.29	مسند أبي يعلى الموصلي	أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي	(المتوفى: 307هـ)
.30	مسند ابن أبي شيبة	أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي	(المتوفى: 235هـ)
.31	مستخرج أبي عوانة	أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري الإسفراييني	(المتوفى: 316هـ)
.32	مسند الشاميين	سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني	(المتوفى: 360هـ)
.33	مصنف عبد الرزاق	أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني	(المتوفى: 211هـ)
.34	(مسند الدارمي) المعروف بـ(سنن الدارمي)	أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي	(المتوفى: 255هـ)
.35	السنن الكبرى للبيهقي.	أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي	(المتوفى: 458هـ)
.36	صحيح ابن حبان	محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي	(المتوفى: 354هـ)
.37	صحيح ابن خزيمة	أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري	(المتوفى: 311هـ)
.38	الأدب المفرد للبخاري	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله	(المتوفى: 256هـ)
.39	شرح السنّة للبغوي	محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي	(المتوفى: 516هـ)
.40	الإستذكار لابن عبد البر	أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي	(المتوفى: 463هـ)
.41	شعب الإيمان لأبي بكر البيهقي	أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي	(المتوفى: 458هـ)
.42	الزهد والرقائق لابن المبارك .	أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي	(المتوفى: 181هـ)
.43	الزهد الكبير للبيهقي	أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي	(المتوفى: 458هـ)

.44	التقوى لابن ابي الدنيا.	أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا	(المتوفى: 281هـ)
.45	الدرر المنثورة في الأحاديث المشتهرة	عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي	(المتوفى: 911هـ)
.46	الطبقات الكبرى لابن سعد	أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد	(المتوفى: 230هـ)
.47	العلل لاحمد بن حنبل	أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني	(المتوفى: 241هـ)
.48	تاريخ الخلفاء للسيوطي	عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي	(المتوفى: 911هـ)
.49	تاريخ دمشق لابن عساكر	الامام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر	499 - هـ - 571 هـ
.50	سير اعلام النبلاء للذهبي	الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي	المتوفى 748 هـ
.51	الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب	إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري	(المتوفى: 799هـ)
.52	مكارم الأخلاق	أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا	(المتوفى: 281هـ)
.53	الآداب للبيهقي	أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي	(المتوفى: 458هـ)
.54	التواضع والخمول لابن أبي الدنيا	أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا	(المتوفى: 281هـ)
.55	الشكر لابن ابي الدنيا	أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا	(المتوفى: 281هـ)
.56	الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم	أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني	(المتوفى: 287هـ)
.57	فضائل القرآن لقاسم بن سلام	أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي	(المتوفى: 224هـ)
.58	جمع الجوامع للسيوطي	عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي	(المتوفى: 911هـ)
.59	محاضرات الأدباء " للأصفهاني.	أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى	(المتوفى: 502هـ)
.60	الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا	أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا	(المتوفى: 281هـ)
.61	مكارم الخلاق " للخرائطي	أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري	(المتوفى: 327هـ)
.62	المعجم الأوسط لأبي القاسم الطبراني	سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني	(المتوفى: 360هـ)
.63	الإبانة الكبرى " لابن بطة	أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري	(المتوفى: 387هـ)

.64	المستدرك على الصحيحين .	أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع	(المتوفى: 405هـ)
.65	المعجم الكبير للطبران	سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني	(المتوفى: 360هـ)
.66	معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم للسيوطي	عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي	(المتوفى: 911هـ)
.67	العقوبات لابن أبي الدنيا	أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا	(المتوفى: 281هـ)
.68	شعب الإيمان للبيهقي	أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي	(المتوفى: 458هـ)
.69	أحياء علوم الدين لمحمد الغزالي .	أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي	(المتوفى: 505هـ)
.70	شرح صحيح البخاري لابن بطال .	ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك	(المتوفى: 449هـ)
.71	ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري لعبد الملك القسطلاني.	أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين	(المتوفى: 923هـ)
.72	المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي	أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي	(المتوفى: 676هـ)
.73	تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمباركفوري.	أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى	(المتوفى: 1353هـ)
.74	عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني	أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى	(المتوفى: 855هـ)
.75	اكمال المعلم شرح صحيح مسلم للقاضي عياض	العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي	المتوفي :544 هـ
.76	إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة للبوصري	أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي	(المتوفى: 840هـ)
.77	إطراف المسند المعتلي لأطراف المسند الحنبلي	أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني	(المتوفى: 852هـ)
.78	مجمع الزوائد ومنفع الفوائد للهيثمي	أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي	(المتوفى: 807هـ)
.79	الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم	محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر	(المتوفى: 488هـ)
.80	مشكاة المصابيح للتبريزي	محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي	(المتوفى: 741هـ)
.81	التمهيد لما في الموطأ من المسانيد لابن عبد البر	أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي	(المتوفى: 463هـ)
.82	جامع الأصول من أحاديث الرسول لابن الأثير	مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير	(المتوفى : 606هـ)
.83	المعبود شرح سنن أبي داود " للعظيم أبادي	محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي	(المتوفى: 1329هـ)

.84	كشف المشكل من حديث الصحيحين" لابن الجوزي	جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي	(المتوفى: 597هـ)
.85	الأذكار " للإمام النووي.	أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي	(المتوفى: 676هـ)
.86	التيسير بشرح الجامع الصغير " للمناوي	زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري	(المتوفى: 1031هـ)
.87	جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي	زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي	(المتوفى: 795هـ)
.88	تهذيب اللغة للأزهري	محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور	(المتوفى: 370هـ)
.89	بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار للسعدي	أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي	(المتوفى: 1376هـ)
.90	مجموع الفتاوى لابن تيمية.	تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني	(المتوفى: 728هـ)
.91	التعريفات " للجرجاني	علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني	(المتوفى: 816هـ)
.92	تاج العروس " للمرتضى الزبيدي	محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي	(المتوفى: 1205هـ)
.93	قوت القلوب في معاملة المحبوب " لأبي طالب المكي	محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي	(المتوفى: 386هـ)
.94	موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين للحلاق القاسمي	محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي	(المتوفى: 1332هـ)
.95	لآداب الشرعية والمنح المرعية للمقدسي الراميني	محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي	(المتوفى: 763هـ)
.96	آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة " لابن رضى الدين	محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين	(المتوفى: 984هـ)
.97	آداب الصحبة للسلمي	محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي	(المتوفى: 412هـ)
.98	الأمثال لابن سلام	أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي	(المتوفى: 224هـ)
.99	الحماسة المغربية للجراوي	أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي	(المتوفى: 609هـ)
100	تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق	عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي	(المتوفى: 743 هـ)
101	رد المختار على الدر المختار	ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي	(المتوفى: 1252هـ)
102	الحاوي الكبير " لأبي الحسن الماوردي	أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي	(المتوفى: 450هـ)
103	المجموع " للإمام النووي	أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي	(المتوفى: 676هـ)

104	المغني " لابن قدامة المقدسي	أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي	(المتوفى: 620هـ)
105	مغني المحتاج إلى معرفة الفاظ المنهاج للشربيني.	شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي	(المتوفى: 977هـ)
106	نهاية الزين شرح قرة العين لمحمد النووي	محمد بن عمر نووي الجاوي البنتني إقليما، التناري بلدا	(المتوفى: 1316هـ)
107	حاشية البجيرمي على الخطيب	سليمان بن محمد بن عمر البُجَيْرَمِيّ المصري الشافعي	(المتوفى: 1221هـ)
108	الموسوعة الفقهية الكويتية	وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت	1427 هـ
109	بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب.	محمد خلف سلامة	
110	معجم الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري	: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري	(المتوفى: نحو 395هـ)
111	الآمالي الخميسية للشجري	يحيى (المرشد بالله) بن الحسين (الموفق) بن إسماعيل بن زيد الحسني الشجري الجرجاني	(المتوفى 499 هـ)
112	عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم الجوزية .	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية	(المتوفى: 751هـ)
113	أخلاق الوزيرين لأبو حيان التوحيدي	أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس	(المتوفى: نحو 400هـ)
114	سبل الهدى والرشاد في سيرة خير للصالحي الشامي.	محمد بن يوسف الصالحي الشامي	(المتوفى: 942هـ)
115	إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن القيم الجوزية	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية	(المتوفى: 751هـ)
116	فتح الباري لابن حجر	أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي	
117	مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لملا الهروي القاري	علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري	(المتوفى: 1014هـ)
118	كنز العمال للمتقى الهندي	علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي	(المتوفى: 975هـ)
119	المعجم الصوفي لدكتور محمود عبد الرزاق	د / محمود عبد الرازق	
120	مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح	أبو الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري	(المتوفى: 1414هـ)
121	معجم ابن الأعرابي .	أبو سعيد بن الأعرابي أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم البصري الصوفي	(المتوفى: 340هـ)
122	مشكل الآثار للطحاوي.	أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي	(المتوفى: 321هـ)
123	فيض القدير للمناوي	زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري	(المتوفى: 1031هـ)

124	أدب الدنيا والدين للماوري.	أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي	(المتوفى: 450هـ)
125	فتح المبين لشرح الأربعين : لأحمدبن حجرالهيثمي .	أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس	(المتوفى: 974هـ)
126	صفة الصفوة لابن الجوزي	جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي	(المتوفى: 597هـ)
127	مدارج السالكين لابن القيم الجوزية.	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية	(المتوفى: 751هـ)
128	تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته لابن القيم الجوزية	محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية	(المتوفى: 751هـ)
129	تاريخ المنتظم لابن الجوزي.	جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي	(المتوفى: 597هـ)
130	صحيح الترغيب والترهيب للألباني.	محمد ناصر الدين الألباني	(المتوفى: 1420هـ)
131	السلسلة الصحيحة للألباني .	محمد ناصر الدين الألباني	(المتوفى: 1420هـ)
132	المورد العذب المعين من آثار أعلام التابعين	محمد خلف سلامة	
133	قرة العينين في شرح احاديث مختارة من الصحيحين	سليمان بن محمد اللهيميد	
134	ايقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام لسليمان محمد اللهيميد	سليمان بن محمد اللهيميد	
135	شرح رياض الصالحين لابن عثيمين.	محمد بن صالح بن محمد العثيمين	(المتوفى: 1421هـ)
136	آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة	سعيد بن علي بن وهف القحطاني.	
137	دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لابن علان الصديقي	محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي	(المتوفى: 1057هـ)
138	الأخلاق والتزكية في رحاب القرآن والسنة	الشيخ عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي	
139	ارواء الغليل للألباني	محمد ناصر الدين الألباني	(المتوفى: 1420هـ)
140	معارك فاصلة في التاريخ الإسلامي	رجب محمود بخيت	
141	المعتصر من المختصر من مشكل الآثار	يوسف بن موسى بن محمد، أبو المحاسن جمال الدين المَلَطي الحنفي	(المتوفى: 803هـ)
142	الموالاة والمعادات في الشريعة الإسلامية	محماس بن عبد الله بن محمد الجلعود	(المتوفى: 1428هـ)
143	الأخوة أيها الإخوة	فضيلة الشيخ محمد حسين يعقوب	
144	تزكية النفوس	د\أحمد فريد	

145	الوصية الثلاثينية لأُمراء وجنود الدولة الإسلامية	ابو حمزة المهاجر(وزير الحرب للدولة الإسلامية في العراق).	(المتوفى:1431هـ).

فهرس المحتويات